الإهداء

كثرٌ من يستحقونَ الشكرَ والعِرفان ولعل أولاهُم

بالشكرِ والدَيَّ . . .

والدَيَّ . . . لكُما الشُكرُ فقد كُنتما الشمعة التي

اهتديتُ بها ومازلتْ .

إخواني . . . كنتم السند فنعمَ السندُ أنتم . .

أصدقائي . . . تحياتي لكم جميعاً .

وطني . . . سأظلُ مُمتناً لكَ إلى أن يحويني ثراك .

جرحٌ بملامحِ إنسان

(الإهداء إلى:- ك- ج)

بَكى كثيراً... إلا أن أحداً لم يَر دموعهُ التي أحدثت شِعاباً على خديهِ الذَيِّن تعرضا لصفعاتِ الألمِ الذي حباهُ بهِ القدر وأغدقهُ عليه، وشكى....غير أنهُ آثَر ألا يسمعَ تلك الشكوى المريرة النابعةِ من حزنٍ لا حدود لــهُ سِوى من سيكتم سرهُ، ويسمعُ لـهُ دون كلالـةٍ أو ملالـةٍ أو تـذمر، فحدثَ الأطيارَ والأزهارَ والأحجارَ حتـَى البحر أتاهُ وهو في أوجِ غضبهِ وعنفوانهِ، عندها كانت الأمواجُ متلاطمةً كأنما تتميزُ من شدة الغيض، وكانت ابتسامتهُ التي لم تغادر شفتيهِ مرسومة على وجههِ الحزين، تلك الابتسامة التي اعتادَ كل من حولهُ رؤيتها عند ملاقاتهِ فظنوهُ في مُنتهى السعادة والنعيم، ولم يكلفوا أنفسهم عناءَ البحث عما وراء تلك الابتسامة ليروا الحقيقةَ التي تبكيهِ كلما خلا بنفسه.

ما برح يشكو حتى هدأت تلك الأمواج كأنما تـُصغي إليهِ وإلى دموعه التي كانت تنهالُ كالأمطار...ومُنذ ذلك الحين والأمواج هادئـةٌ كأنما استهانت همومها و آلامها أمام آلام ذلك الإنسان الضئيل الحجم، والذي يحملُ بصدرهِ الصغير ما يعجزُ البحرُ عن حملهِ على رغم اتساعه.

حاول جاهداً كسبَ محبةَ الآخرين، المحبة الحقيقية ُالسامية عن المـصالحِ.. المرتفعةُ عن الأغراضِ الدنيئـةِ حتى

يستطيع العيشَ بينهم بحبٍ وسلام، إلا أن محاولاته باءت جميعها بالفشل الذريع إثر المصلحة التي فرضت نفسها على الواقع فبددت الحبَّ البريءَ وجعلت منهُ حلماً يصعبُ تحقيقهُ أو إيجاده، وإثر العقباتِ التي رُصت أمامهُ ومن أقربِ المقربين... سَواءً كانت بقصدٍ أو دون قصد.

تمنى أن تسدل الأقدارُ أستارها على جرحٍ بملامحِ إنسان، لِتُنهي فاجعةً عاشَها لحظةً بلحظة، بدءاً بتحمُلِهِ هماً يفوقُ حجمهُ وسنهُ الذي لم يجاوز العاشرة، وانتهاءً بآلامٍ أشفقَ البَحرُ من حملها.

ذلك الهمُ الذي لازمهُ وترعرعَ معهُ حتى صارَ باتساعِ المحيط وبعمقِ الأزل... ذلكَ الهمُ الذي لازمهُ حتى ريعانَ شبابهِ الذي كان أشبهَ بالكهولة من الشباب في حقيقية الأمر.

وتحققَ الحلمُ... و الآن لكم أن تَنفثوا أحقادكم بشرايينهِ التي كان نبضُها محبتكم... لكم أن تُريقوا دِماءَهُ كما أرقتم دموعهُ في سالفِ الأيام... ولكم أن تُصَفّوا نار ضغائِنكم التي لم يكن يدري عن أسبابها شيئا سوى أنهُ بريءٌ مِنها براءة الذئب من دمِ ابن يعقوب... لكم أن تفعلوا ما شئتم... لكنهُ قد مات..

الفِدَائِي المجهُول

جاءَ جنود الاحتلال الصهيوني ليبحثوا عن ذلك الذي أرقهم، وحرمهم لذةَ النوم.... طرقوا باب منزلهِ بعد أن طوقوهُ بالجنود المُدججين بكامل العدةِ والعتاد.

فتح لهم رجلٌ بدأ الشيب يزحفُ على رأسهِ وذقنه، كما بدأتِ التجاعيدُ تظهر على وجههِ معلنةً بدء شيخوخةٍ مبكرةٍ ليست من تعاقبِ الأيامِ والسنين وإنما استعجلتها الأحداثُ المروعةُ والمتواترة..ابتداءاً بمذبحةِ ((دير ياسين)) والمذابح والجرائم التي تلتها والتي كان من الناجين القلائل منها.... وحتى الآن.

كان غاضباً حال فتحهِ الباب فمن ذلك الذي سمح لنفسهِ إزعاجه في هذا الوقتِ المتأخر من الليل......؟

فتح الباب... تغيرت ملامحهُ و بدت أشدَّ غضباً، واستنفرَ كاملَ طاقتهِ... واستجمعَ همتهُ للمواجهةِ والدفاع عن حرمةِ منزلهِ فأمسكَ بمصراعِ البابِ بقوةٍ متسائلاً بتوجسٍ وحزمْ:.

- ماذا تريدون؟!!!

- أين الإرهابي؟

ظنَّ للحظةٍ أن أحدَ الفدائيين الثوار قد قام بعملٍ ضدهم وتوارى عن الأنظار في المنطقةِ المحيطةِ وهم يبحثون عنهُ... قطعَ حبلَ أفكارهِ قائدَ الدوريةِ حينَ همَّ بإبعادهِ عن

البابِ ليدخل... جالَ بنظرهِ بينهم فإذا هم ستةَ جنودٍ مدججين بالسلاح فبادرهُم بالسؤال:-
_ أيُّ إرهابيٍ تبحثونَ عنهُ في مثلِ هذا الوقت؟!.
- ألستَ موسى الخالص؟
- بلى.
- إذاً فنحنُ لم نخطئ.... أين ابنك أحمد؟
انبهرَ موسى وارتسمتْ على وجههِ معالمُ التعجبِ وأسارير الفرحةِ وقال:.
- هو نائمٌ بالداخل ...
وأشارَ لهم إلى الغرفةِ التي ينامُ فيها... دخلَ جميعُ أفرادِ الدوريةِ... كانوا متأهبين بكاملِ سلاحهم للقبضِ عليهِ فهو بلا شكٍ لن يسلمَّ نفسهُ لهم طوعاً... كما أنَّ تصرفَ والدهِ في التدليلِ على مكانهِ... بلا ترددٍ أو خوفٍ يثيرُ الاستغرابَ والدهشةَ ولا بُد أنَّ في الأمر سراً أو لعلها مكيدة .
وكانت المفاجئةُ عند دخولهم... فمن أرَّقهم طوال تلك المدةِ وحطمَّ أسطورةَ اليدِ الحديديةِ الطُولى ليسَ إلا طفلاً لم يتجاوز الثانية عَشر من عمرهِ ، وهو ذا نائم قرير العينِ أمامهم مُحتضناً قوسهُ المصنوع من المطاط الذي لا يفارقهُ.
كان هذا الطفلُ هو الابنُ الأكبرُ لموسى الخالص... لم يخطئوا عندما ظنوهُ شاباً فشدةُ عدائهِ للصهاينةِ تجعلهُ كذلك!.. من يسمعُ عنهُ يظنهُ شيخاً في حكمتهِ، وشاباً في كبريائهِ ورجلاً عزيزاً شجاعاً في تحديهِ للعدو ومواجهتهِ

إياه، لكن الحقيقةَ أنهُ طفلٌ لم يتجاوزِ الثانية عَشر.... أصبح مثارَ إعجابَ وتقديرَ واحترام الصغارِ والكبارِ في القدسِ.... ومحطَّ أنظارَ الصهاينةِ أيضاً، لكن.... ما الذي حصل؟!

❁ ❁ ❁ ❁

بعد سنواتٍ انعكستْ حالـهُ.. وانقلبَ ذلك العداءُ محبةً، وموالاةً، ومودة!!.

وصل بهِ الحالُ أن ارتدى البذلةَ ذاتِ النجمةِ السداسيةِ!!..... وانضمَ إلى صفوفِ الجيشِ الإسرائيلي، وأصبحَ جُندياً فيه!!!. وبعد أن كانَ أهله فخورين بهِ لم يعودوا يُطيقونهُ أو يقبلونهُ بينهم.... وكلما أتى لزيارتهم صدهُ أخواهُ ومنعاهُ من الدخولِ... و كان الأطفالُ يُقابلونهُ بالحجارةِ وكلماتِ الاحتقار... حتى والديه كانا يقابلانهِ بالصدِ والرفضِ... كانت والدتهُ تبادرهُ كلما أتى لزيارتهم بالقول (إني لم أندم في حياتي إلا على حملكَ في بطني، وإرضاعكَ من صدري) وتبصقُ في وجههِ.... كانت الكلمات اكبر من أن يحتملها فكان يعودُ من كل زيارةٍ لهم والدموعُ ملئَ عينيهِ و ابتسامة حبٍ وحنانٍ على شفتيهِ، وبعد أن قضى ثلاث سنواتٍ بالخدمةِ في الجيش الإسرائيلي مُنح الثقة وانتقل للعمل فيما يعتبرونهُ عاصمة إسرائيل ((تل أبيب)) عندما أبلغهُ قائدهُ بذلكَ الخبر كاد يطيرُ من الفرحِ، وشكر قائدهُ المغرورُ الذي ما إن خرج ذلك الشاب حتى تعالت ضحكاتهُ ثم قال بغرورٍ:. ((لا أحد يستطيعُ مقاومةَ الإغراءاتِ

الإسرائيليةِ مهما كانت وطنيتهُ وقوة إيمانهِ))... وفي ذلكَ إشارة إلى ذلك اليوم الذي لم ولن ينساه عندما أتى ليقبضَ عليهِ فإذا هو طفل، لكِنهُ اليوم شاباً موالياً لليهود. وبعد عامٍ من الخدمةِ في العاصمةِ المزعومة ((تل أبيب)) وفي إجازتهِ السنويةِ الأولى بعد الترقيةِ عادَ لزيارةِ أسرتهِ... لم يُسمَح لهُ بالدخولِ فحاول أن يدخلَ عنوةً ولكنَ هيهاتْ... فقد كان يُقاوَم وكأنَهُ غريبٌ مغتصب.. شَعرَ والداهُ بنظراتهِ التي تطالبهما بمنحهِ فرصةً أخيره.... كانا يشعران بأن كلاماً مهماً يريدُ قولهُ كانت دموعهُ التي بللت قميصهُ توحي بذلك وبشيءٍ غريبٍ آخر لم يتمكنا من معرفتهِ ولم يمنَحاهُ فرصةً للإفضاءِ والإفصاح عنهُ إلا أن شعوراً غريباً وقوياً تملكهما... وكأن هذا اللقاء هو الأخير... وعلى رغم الجفاء الذي قوبل به من أخويهِ الذَينِ كانا يبعدانهِ عنهما وعن الباب فقد كان يحاولُ احتضانَ وتقبيلَ أياً منهما وكأنهُ اللقاءُ الأخيرُ فعلاً.

وبعد أن يئسَ من الدخولِ قالَ لوالديهِ:. لعلَّ الله لن يكتبَ لي رؤيتكم بعدَ اليومِ فسامحاني وادعواهُ أن يغفرَ لي ويرحمني. فدعت عليهِ والدتهُ:. لا سلَّمك.. ولا غفر لك... نَطقتها بِمرارةٍ وألمٍ وسيلٌ من الدموعِ على خديها.

نظر إليها وقد اغرورقتْ عيناهُ بالدموعِ وقال:. أستودعكُم الله.... قالها وهو يبكي بمرارةٍ وحزنْ.... فقد كان يرجو لقاءً خيراً من هذا اللقاء... كان يرجو أن يحتضنهُ والداه

ويعانقانهِ ولو لآخر مرةٍ... لكنهُ على الرغمِ من ذلك كله وجدَ لهم العذرَ... وعاد إلى ((تل أبيب)) بعد لقاءٍ مرير.
وبعد أسبوعٍ واحدٍ فقط من ذلك اللقاءْ طرقَ البابَ شيخٌ وشابان... هو نفسُ الباب الذي طرقهُ قبل ثلاثةَ عشرَ عاماً أفرادُ الدوريةِ الإسرائيليةِ التي أتتْ للقبضِ عليهِ وهو الطفلُ الذي لم يتجاوز الثانية عَشر... و هو نفس الباب الذي طرقه هو قبل أسبوع ولم يُسمح لهُ بالدخول!!.
الحزنُ بادٍ على ملامحِ الضيوفْ... والإطراقُ والوجومُ مخيمٌ على جميعِ الحضور... وفجأةً كَسر حاجزَ الصمت صوتُ الشيخِ الذي بدأ كلامهُ بقولهِ تعالى ((ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم اللهُ من فضلهِ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من بعدهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)) كان ذلك الشيخ قائداً لجماعةٍ تنتمي لسرايا عز الدين القسام التي لا تبتغي سوى الحياةَ بكرامةٍ أو الموتَ بشرفٍ وقد أتاهم مُبشراً باستشهادِ من أتاهم قبل أسبوعٍ زائراً ومودعاً فحرموهُ من أحضانهم وحرارةِ لِقائهم ووداعهم... بشرهم أن لهم شفيعاً في الآخرةِ لم يشفعوا لهُ في الدنيا... أخبرهم بأنهُ لم يكنْ أبداً خائناً وإنما خنجراً مسموماً في صفوفِ جيشِ العدو وصدورهم... وقد نفذ عمليةً فدائيةً استشهاديةً قبل ساعاتْ... عزاهُم في استشهادِ الفدائي المجهول.

صفحةٌ مِنْ مُذَكِراتِي

(الليلةُ الممتعةُ المُرهِقَة)

في إحدى ليالي الشتاءِ الباردةِ كُنتُ عند أحد أصدقائي نتسامرُ ونتجاذبُ أطرافَ الحديثِ... لم نشعرْ بالوقتِ الذي داهمنا إلا عندما هممتُ بالخروج، حينها كانتِ الثانيةُ بعدَ منتصفِ الليل، عرضَ عليّ المبيت وحاول إقناعي كثيراً... رفضتُ مؤملاً إيجادِ سَيارةٍ تُقلُني إلى منزلي... وبالفعلِ ذَهبتْ.

كنتُ أدركُ أني لن أجدَ سيارةً في ذلك الوقت المتأخرِ إلا بصعوبةٍ وبعدَ طولِ انتظارْ، لكني لم أتخيل أن إيجادها في ذلك الوقت ضَرباً من المستحيلِ، لِذا قررتُ قطع المسافة سَيراً على الأقدام، فمررتُ من الشوارعِ الفرعيةِ اِختصاراً للمَسافةِ حتى وصلتُ إلى أحدِ المقاهي المناوبة... عِندَها كانَ قَدْ بلغَ بيَّ الجوعُ مبلغهُ فدخلتُ وطلبتُ ما أسدُّ بهِ رمقي.

انتابَني شعورٌ بالسعادةِ والمتعةِ لم أشعرُ بهِ من قبل فقررتُ البقاءَ حتى الصباح... كانتْ أجملَ وأغربَ ليلةٍ في حياتي بِرغم بردها القارس... فقدْ التقيتُ فيها بأناسٍ لم يتبادرْ لذهني أن ألتقيهم في حياتي أبداً... نَراهم في الصباحِ

كالمجـانينْ ونعـرفُهم كـذلكَ، لكنــي أراهـُم الآنَ فـي منتهـى العقل..!!!

جلـسَ أحـدهم بـِجواري بعـد أن سَلـَّم علـى المنـاوبِ فـي المقهى... كانَ حافي القدمينْ، أشعثَ الرأس ِأغبرهُ، يرتـَدي ملابسَ رَثةٍ ومُمَزقـهْ، وطلـبَ كوبـاً من الشَـاي... شَرِبهُ، ثُمَ دفعَ ثمنهُ وذهب... لم يحدثْ ذلكَ مَرةً واحدةً بل عِدةَ مراتٍ ومِـنْ أشـخاصٍ لا يختلفـون عنـهُ... تنطبـقُ عَلـيهم نفـسَ الأوصافِ تقريباً، كانَ مِنْ الواضحِ معرفةَ ُالمناوبِ لهم، بل لعلهم من زبائنهِ في ذلكَ الوقتِ المتأخر ِمن الليل. في حين أن آخـرين يُخزنـونَ القـاتَ ويُـدخنونَ بـأنسٍ وانسجام، كأنمـا امتلكـوا عالمـاً خاصـاً بهـم كالـذي جَلـسَ مُواجهـاً لـي علـى نفس ِالطاولة...

أثـارني مـا رأيتـهُ فأخرجـتُ أوراقـي وبـدأتُ الكتابـةَ وذاكَ الشخص ما يزالُ مُواجهاُ لي والسجائِرُ تتعاقبُ على شفتيهِ، وهو مُنهمكٌ في الكتابـةِ أيضـاُ... لم يَشـعُر بشـيءٍ حَولـهُ ولـم يَرفع نظرهُ من علـى أوراقـهِ التـي مـا إن انتهتْ حتـى طلـبَ مني ورقهْ... أعطيتهُ وظللتُ أحملقُ فيهِ مستغرباً... بادرنـي وأنا على ذلك الحال بسؤال:-

ـ هل ترسمُ شيئاُ؟!..

ـ أجبتهُ بالنفي... هزَّ رأسهُ واستأنفَ كتابتهْ.

وعندما بدأتِ الشمسُ تُرسل أولـى خـِيطـَانـِها الذهبيـةِ علـى الأرض جمعـتُ أوراقـي ورَحلـتُ... كـان ذلـكَ أولُ يـومٍ

أستمتعُ فيهِ بشروقِ الشمسِ بعدَ ليلةٍ ممتعةٍ مرهقةٍ أتمنى أن تتكرر..

صَـديـقِي والعِيـد

التقينا في ثاني أيامِ العيد....عاتبتهُ على قضائه ِالعيد وحيداً في غرفـَتـِهِ ((المنفى)) كما يُحب أن يسَّميها فقال:. إذا عُرِفَ السببُ بطل العجبُ كما يقولون!

- أي سببٍ يجعلكَ تعتزلُ الناسَ في يوم ِالعيد؟!
- لي عُذري في ذلك... ولو علمتهُ لأدركتَ ذلك.
- لا أعتقدُ أنَّ لكَ عذراً أبداً.
- إذاً اسمعني، ثم احكم بعد ذلك.
- حسناً... تفضل.
- كانت ليلةُ العيدِ من أشد الليالي وطأةً على نفسي حيث تأرجحتُ فيها بين أمرين أحلاهما مُر، إما العودة لمنزلي لقضاءِ ما تبقى من ساعاتها، أو البقاء على رغم كرهي لذلك، فهي ليلة ليست كأي ليله... والعيدُ ما عاد يفصلنا عنهُ سوى سويعات قليلةٍ حتى يُطِلُ علينا بعبقهِ وبحلته ِالجديدة التي تكسي عوَّاده وصفائه الذي يطهِّرُ سرائرَ الناس فيجمعهم في باكر صبحه للعناق والسلام... كان من المفترض بل كان لزاماً عليَّ ألا ترسل الشمس أول خيوطها الذهبية إلا وأنا في منزلي... بل في غرفتي القابعةُ بتواضعٍ في الجزء الشمالي من سطحِ المنزل الواقع في الشرق الأوسط من العاصمة صنعاء، وبالتحديد في إحدى الضواحي التي تستلقي كحوريةٍ فاتنةٍ على سفح نـُقم الأشم،

هنـاك... حيـث لا تـزال الطبيعـة تحـتفظ بطابعهـا مكونـة مُتنزهاً مُطلاً على صنعاء تقصده الأسر والعائلات من المناطق البعيدة والقريبة.
ذلـك الإلـزام لـيس لرغبـةٍ فـي نفسـي أو لشـوقٍ أو شغف لقضاء أجمل وأجلَّ أيام السنةِ في أحضانِ أسرتي التي أصبحت ممزقة، ولكن لرغبة في التواري عن عيونِ الناس الذين لا بد ستلفِت أنظارهم ملابسي التي بات من الواضح قدمها... وشعري الذي استطال وما استطعتُ حتى تقصيرهْ... وحذائي الذي بِتُّ أخجلُ من انتعالهِ في الأيامِ العاديةِ، فكيفَ بالعيدِ؟!!.
وقَضيتُ ليلتي أو بقيتها كما سلف من ساعاتها... بل أشدَّ وأقسى خصوصاً كلما اقترب الصبحُ وكأنها الساعاتُ الأخيرة في حياتي... أو لَكأنِي أُقبِل على الموت لا يفصلني عنهُ سِوى لحظاتِ شروق شمس العيد فبتُّ لذلك أرقبُ الدقائقَ والثوانْ... اسمعُ ضحكات من حولي فأحاول مُجاراتهم في سرورِهم مُتصنعاً الابتسامة التي كِدتُ أنساها في مثل هكذا مناسباتٍ حتى لا أكونُ نكرة بينَ المعارف ومُحاولا كذلك إخفاءَ معالمَ الحزن المرسومة كوشمٍ على وجهي برغم جَلائِها لنَاظِرِيَّ الذين ذبحتني نظراتهم المتسمة بالعطف والشفقة التي لا أُحُبذها ولا أتحمَلُها.... إلى إن أُذنَّ للفجرِ فذَهبتُ للصلاة وعُدتُ بعدها لأخذ أوراق كُنت قد اشتريتها، وكتابين

مُتَعَلِقَين بِدراستي الجامعية التي أصبحت اختباراتها بعد اقل من الشهر كان قد تفضل بهما عليَّ أحد الأصدقاء.
ولعلهم عند ذهابي لأداء الصلاة قد تحدثوا عني وعن سببِ رغبتي العارمة في الذهاب، وأدركوا السبب الحقيقي وراء ذلك على رغم تعذري بالنوم الذي لم يجد سبيلاً إلى عينَيَّ تلكَ الليلة، حيثُ إني إذا ما بقيت فلا مكان أستطيع الخلود فيه للنومِ بسببِ الضجةِ التي سيُحدثها الأطفالُ إثر الفرحة الغامرة بالعيد.
على رغم تبريري الذي كان صادقاً وستاراً لحقيقةٍ أخرى يُدرِكونها لم يقتنعوا... وما كان ليقنعهم ذلك التبرير أو يقنعني أنا نفسي... لكن الحقيقة قاسية ولا أستطيعُ الاعترافَ بِها فكرامتي لا تسمحُ بذلك على رغم يقيني بمعرفتهم لها.
كنت أتمنى البقاءْ... وكنتُ للحظةٍ قررتُ ذلكَ في نفسي إلا أنَّ نظراتهم التي ما كُنتُ لأقبلها أو أُطيقها حسمتِ الأمر... فقد كانت أمضى من سهامٍ أصابتْ فؤادي فأدمتهُ وأثارتْ مقلتيَّ فأدمعتهُما... وما عدتُ قادراً على تحملِ المزيدَ فاستأذنتهم وخرجتُ مُسرِعاً علَّ أحداً لا يرى دموعي التي صارت رفيقي صباحَ كُل عِيدْ.
كنتُ أمشي وكل خطوةٍ تفتحُ جُرحاً، وكلَ جُرحٍ يَجُرنِي لذكرى مؤلمةٍ... وجُرحٍ أكبر.
كان الضوءُ ما يزالُ خفيفاً عندما كنتُ أُلقِي نظري على النوافذ التي أصبحت مُضاءَة... جالَ في خاطري ما قد

يكونُ حادثاً خَلفَ زجاج تلك النوافذ... حلقتُ بخيالي فإذا الأطفالُ يستيقظونَ مسرورين عند سماعهم أصوات والديهم لارتداءِ ملابس العيدِ الجديدةِ... وصوت المذياع يُطربُ بالأغاني العيديةِ السعيدة... قد يكون ما يحدثُ بالفعل خلف َزجاج تلك النوافذ أكثرَ فرحاً وسعادةً ودفئاً من ذلك... أو أكثر تدفقاً للعاطفة بين الأبوين والأبناء، لكن ما جال بفكري أو ما تخيلتهُ هو ما كان يحدث ُلي عندما كنتُ طفلاً، وأسرتي ما تزالُ مترابطة... أو هو ما تمنيتُ أن يحدث َلي الآن على رغم أني جاوزت ُسِنَ الطفولة... إلا أنهُ ما يزالُ بداخلي طفلٌ بحاجةٍ إلى أن يلعبَ ويكسرَ حدود العقل... ما يزالُ بداخلي طفلٌ بحاجةٍ إلى حضن ِأمهِ الدافئ وعطفَ أبيهِ.... لكن ذلك صار ضرباً من الخيال المحال... فأمي قد غادرتــُها وأسرتها قــُبيل لحظات، وأبي أتجهُ إليهِ الآن ليصدمني الواقعُ و يُذكرني بجرح ٍلا أظنهُ يندمل، وليس بمقدورِ السنين تطيبيهُ أبداً.

عندما وصلتُ إلى منفاي على سطحِ منزلنا... نظرتُ من النافذة ِلعيون ِالصغارِ والكبار ِالتي تملؤها الفرحة ُفدمعت عيناي فرحاً لهم... وحزناً على نفسي... وحَالِــي.

لما انتهى من سردِ قصته مع العيد كانت ملابسي الجديدة قد أغرقتها الدموع فعذرتهُ.... ولم أعذرْ نفسي...

النافذة

كالعادة... ما أن يصل المعهد حتى يتجهُ نحو النافذة المطلة على الشارع الرئيسي ليُراقب السيارات والمارة، وذات يومٍ وبينما هو على حالهِ ذاك... لمحها.... كانت حسناءً بكلِ مقاييس الحُسن وبكل ما تحملهُ الكلمةُ من معنى، لمحتهُ هي الأخرى ولم تكترث للأمر، إلا أن لنظرتها تلك وقع السهام.... وأصيب الفؤادُ بنظرةٍ طائشةٍ أوقعتهُ أسيرا.......
وأخذ الأمر منحاً آخر... حيثُ لم يعد جلوسهُ أمام النافذة تضييعاً للوقت واستجلابا لوقت الانصراف وإنما لشوقٍ ما كان لهُ أن يكتمهُ أو يخفيه.....

واستمر الحال لمدة ستة أشهرٍ كل يومٍ فيها يطول عن الذي قبله حتى فاض بهِ الشوق وبلغ مبلغه... تلقى اتصالاً ذات صباح:-

- الوو.
- نعم؟!.
- صباحُ الخير .
- صباحُ الأنوار
- معهد الأقصى؟!.
- نعم معكم معهد الأقصى.
- ممكن سؤال؟!
- تفضلي.

- أرغبُ بالتسجيلِ لديكم.
- مرحباً بكِ.
- متى آتي؟!
- نحنُ متواجدون من التاسعة وحتى الواحدة ظهراً ومن الثالثة حتى التاسعة مساءً.. يومياً عدا الخميس والجمعة.
- إذاً سآتي في نفس الوقت الذي أمر بهِ.
- نعم؟!.
- لا شيء إلى اللقاء.
- مع السلامة!.

كان اتصالاً غريباً لكنهُ لم يكترث له، وعادَ إلى مكانهِ على النافذة مُسرعاً تأخذهُ أجنحة الشوق واللهفة حتى لا تمر دون أن يراها، و ما هي إلا لحظاتٍ حتى مرتْ... رمقتهُ بنظرةٍ حانيةٍ وابتسامةٍ هادئةٍ وساحرةٍ لم يستطع تفسيرها.

تلك أول مرةٍ تبتسم لهُ بها على رغم طول الفترة وملاحظتها لهُ بكل يومٍ تمر به من أمامهِ... شعرَ بشوقٍ يعتصِرُهُ.....إحساس أقرب ما يكونُ افتقاداً وأدركَ أنهُ قد وقعَ ببحرٍ لا يحسنُ العوم بهِ، لذا قررَ الانسحاب وترك مكانه شاغراً على تلك النافذة منذ تلك اللحظة.

مر أسبوعهُ طويلاً ومُمِلاً وكئيباً وهو يجافي تلك النافذة. وبأحد الأيام وبينما هو على مكتبهِ مُنهمكٌ بالكتابة....

- صباح الخير.
- صباحُ النور (لم يرفع نظرهُ إلى المتحدث)
- مشغول؟!

رفعَ نظرهُ إليها وأجابَ:

- لا تفضـــ....ـ لم يستطع المتابعة فقد كانت المفاجأةُ فوق قدرتهُ على استيعابها ولم يتوقعها البتة..

ارتبكَ وتلكأ وعصفت بهِ الدُنيا في لحظه...

لاحظت ذلك فابتسمت ابتسامتها الساحرة.... حاول استعادة اتزانهُ أمامها إلا أن المفاجأة أكبرُ من أن يحتويها في لحظات.... وساد الصمتُ لُحيظاتٍ قطعتها بقولها:

- أنا التي اتصلتُ قبل أسبوع للتسجيل لديكم.
- أهلاً وسهلاً.
- طبعاً أنا أمر من أمام المعهد يومياً وأرى اللوحة التي بجانب النافذة (مبتسمة).
- تفضلي اجلسي.
- شكراً.

وساد الصمتُ لحظاتٍ قطعتهُ بقولها:-

- ألا تعتقد أننا التقينا من قبل؟!
- أظنُ ذلك!
- ألا تتذكر أين؟!
- على النافذة..(مبتسماً)

اِحمـرَّ وجهُهـا واتسـعت حـدود ابتسـامتها الممزوجـة بالخجل.... حاولتْ إخفاء وجهها عنهُ فبادرها:
- اغفري جرأتي.
- بالعكس... أُفضِلُ الصراحةَ، واسمح لي أن أكلمك بنفس الصراحة.
- تفضلي .
- لا بد أنكَ تذكرُ أول لقاء!!.
- بالتأكيد .
- كان ذلك منذ ستة أشهر، أليس كذلك؟
- نعم .
- هل تسمح لي بسؤال؟
- تفضلي .
- بعد ذلك اللقاء تتالت اللقاءات .
- صحيح .
- هل كانت وليدةُ صدفة أم مقصودة؟!!
- ما هي؟
- بدأنا بالصراحة و ارجوا أن نكمل الحديث بنفس الصراحة .
- بمنتهى الصراحة ؟! ، كانت مقصودة فعلاً .
- والسبب!!.
- هل كان ذلك يضايقكِ؟!
- لا بالعكس ... أقصدُ كان الأمرُ عادي ..

- على كُل حال السبب هو نفس السبب الذي جاء بكِ الآن .
- ماذا تقصد ؟!
- اتفقنا على الصراحة ... أليس كذلك ؟!
- نعم ... لكن الصراحة ليستْ إجاباتٍ عائمة .
- إجابتي ليست عائمة ... وبصراحة أكبر كان ذلك بسبب شوقٍ لم استطع تفسيرهُ أو مقاومتهُ .. وبعد أن بدأ سببهُ بالجلاء شعرتُ بالرهبة فتركتُ مكاني على النافذة .
- أنت باليمن مُنذُ متى ؟!
- منذُ ولدتُ .... لكن .. لمَ هذا السؤال ؟!!
- مستحيل !..
- ما هو المستحيل ؟!
- أسلوبكَ في التعامل يدلُ على أنك عشت في أمريكا أو أوربا طيلة حياتك !.
- لماذا ؟!
- صراحتك !.
- ما بها؟!
- بالعادةِ لا يتكلم الشاب مع الفتاة بهذه الصراحة .
- اتفقنا عليها من البداية .
- ليس لهذا الحد .
- لماذا ؟!

- عاداتنا ... تقاليدنا ..
- أنا لم أتجاوز أيٍ منها .... كلما في الأمر أنَّك سألتِني وأنا أجبتُكِ .
- ألم تلاحظ أنِّي لم أتشرف باسمكَ للآن !!.
- ربيع منصور .
- تشرفنا أستاذ ربيع .. أستأذنكَ الآن .
- لم أتشرف بالاسم !!
- شذى عبد السلام . والآن اسمح لي ....
- زادنا شرفاً حضوركِ آنسة شذى . و سأنتظر تكرار الزيارة .
- جئتُ أسلم عليك فقط وأشكركَ على انتظاركَ لي بالنافذة
- كأنهُ الوداع آنسه شذى ؟!.
- هو ذلك فعلا ... سأغادر صنعاء إلى عاصمة الضباب فجر الغد وقد لا أعود قبل العام أو العامين .....
- سأشتاقُ إليكِ شذى .. أقصد ستشتاقُ إليك النافذة !.
- و أنا أيضاً ... أراك بخير أستاذ ربيع .
- أراكِ بخير آنسه شذى .

الحُلـم الوَردِي

كانت تمشي وكأنها تطير بجناحي الفرحة... كل شيءٍ جميل بعينيها، كل ما وقع عليهِ نظرها كانت ترى به حُسناً وجمالاً تزينهُ لها الفرحة وتزخرفهُ السعادة، كأنها في حلمٍ جميل... لم تكن تصدق أنهُ لم يعد يفصلها عن حلمها الذي طالما راودها في الصحو والمنام إلا أسبوعاً... أخيراً.... أخيراً سيجمعُها بفتى أحلامها بيتٌ وسقف.

وبينما هي في عالمها العرائسي السعيد... قطع أحدهم عليها خيالها المترجم لأحلامها!..هجم عليها وأجترها إلى سيارته في حين كانت تصرخُ وتستنجد..... ولكن هيهات أن يسمعها أحدٌ، فذلك شارعٌ فرعي قلما يمر به أحد... وتلك المنطقة خالية إلا من سورين طويلين أحدهما لمقبرةٍ والآخر لحديقةٍ قيد الإنشاء.

وبعد ثلاثة أيام قضتها فاقدةً للوعي بسب المُخدر الذي كان يَحقِنُها بهِ كُلماً انتبهت.... استفاقت وبدأت في الصراخ... اجترها بنفس الطريقة و أعادها إلى نفس الشارع الذي اختطفها منهُ... في حين لا تعرف ما حدث لها في تلك الأيام الثلاثة... بل لا تعرف حتى عددها، لكن يبدو أن شيئاً ما قد حدثْ.

انقلبت نظرتُها للحياة... ما كانت تراهُ جميلاً صارتْ تراهُ شديدَ القبحِ!!! تُرى كيفَ تتصرف؟!. إلى أين تذهب؟! وماذا

عن حفل العرس؟! ترى كم تبقّى لموعدهِ؟ أم أن موعدهُ قد فات؟! ثُم كيف ستواجه أُسرتها وأسرةَ عريسِها المُنتَظر والناس؟!.

تساؤلات عصفت بها و أثقلت رأسها وكاهلها... أحستْ بدوارٍ شديدٍ وانسلاخٍ من الحياةِ والناس كلما تذكرتِ العُرسَ الذي صار كابوسا مُروعاً بَعد أن كان حلماً وردياً جميلاً، وبؤساً بعد أن كان سعادة، وحُزناً بعد أن كان فرحاً...

أظلمتِ الدنيا في وجهها وازدادتْ سواداً وعتمَة.

و بعد تخيلاتٍ وتساؤلاتٍ يكتنفها الغموض، وتصبغها الهموم بصبغةٍ سوداء قاتمة استقلت من فورها سيارة أجره واتجهت إلى مدينة ساحليةٍ مجاورة... ترافقُها الدمُوعُ التي كانت أغزرَ من المطر، وأجرى من السيل... لاحظ السائق ذلكَ فظنَ أنها رُبما فقدتْ قريباً، أو عزيزاً أو لعلهُ أحدُ والديها وهي في طريقها لإلقاءِ النظرة الأخيرةَ عليه، وعند وصولهما المدينة طلبت إليهِ إيصالها إلى شاطِئ البحر... نَفَذَ دونَ التفوه بكلمةٍ واحده... وأمام البحر خلعت ما معها من خواتم وأقراط وأعطتهُ إياها... واتجهت إلى البحر!!!.

أثار تصرفها استغرابهُ واندهاشهُ، كما أثار فضولهُ فبقي على حالته يراقبها في حين تزدادُ توغلاً في المياه... وعندما أيقن أنها تُقدم على الانتحار هرعَ إليها ليحول بينها وما هي

مقدمةٌ عليه... قاومتهُ... كأنما هي مُقبلَةٌ على الجنةِ وهو يمنعُها عنها.
وبينما هُما على ذلك الحال تمكن من إقناعها بتركها وما تشاءُ إن عَجِزَ عن مساعدتها... حكت لهُ القصة....هدأ من رَوعِها، وأقنعها بقدرتهِ على معالجةِ الأمر، وطلب منها العودة إلى منزلهِ كأختٍ لهُ ولزوجهِ واعداً إياها ألا يَعرِفَ أمرها أحد حتى ينتهي من معالجةِ الأمر.
عندما وصلا إلى البيت كانت زوجتهُ بانتظاره... أخبرها أن معه ضيفةً... وعندما دخلت قطبت الزوجةُ جبينها ضانةً أنها إحدى قريباته اللاتي لم تزره أيُّهن مُنذ زواجهِ لعدم مباركتهنَ ذلك الزواج، وما إن سمعت أنها لا تمتُ إليهِ بصِلةِ قَرابةٍ حتى بدأت بالصراخِ والعويل... حاول تهدئتها وإسكاتها ولكن دون جدوى... اتصلت بأخيها الذي سارعَ بالمجيء، وما أن سمع افتراءات أختهِ على زوجِها وتلك المسكينةُ حتى اتصلَ بالشرطةِ، وتلك الفتاة في مكانها زائغةَ البصرِ.. ذاهلةً خائفة... فما حدث ويحدثُ سيفضحُ أمرها الذي حاولتْ إغراقهُ ودفنهُ وإياها لولا ذلك الرجل الذي يقف الآنَ أمامها مكتوفَ اليدينِ مُتَسَمِرَ القدمين.
وصلت الشُرطةُ على الفور... سمع ضابط الشرطةُ اتهامات المَرأة لِزوجها بالفحشِ والمجونِ إلى حد إحضارِ العاهراتِ إلى منزل الزوجيةَ أكثر من مَرة، وآخرها اليوم حيثُ وصلت لتجِدهما بغرفةِ نومها، مُدعيه الصبر من أجلِ

أبنائِها الخمسةِ، لكنها قد ضاقت ذرعاً ولم تَعُد قادرةً على التحمل أكثرَ من ذلك.
قُبِضَ على الزوجِ والفتاة وما هي إلا أيام حتى انتشرَ الخبرُ وصارَ حديثَ الصحافة ووصل إلى مسامع والدها الذي صعقهُ ذلك... فهم يبحثون عنها منذ أربعة أيامٍ دون جدوى... إذاً لابُد أنها كانت معهُ... الخائنة...
وأخذتِ التحقيقات مجراها وهنا وقعتِ الطامة وحدثَ ما لم يكن في الحسبان أو مُتَوقعاً أبداً... فقد اتضح بعد الفحوصات أن الرجلُ عقيمٌ ولا علاجَ لهُ... لكن كيفَ ذلكَ ولديهِ خمسةَ أبناء؟!!.
أما الفتاة فقد اِتضحَ أنها ما زالت عذراء!!.
أخذتِ القضية منحاً آخر تماماً حيثُ أصبحت الزوجةُ في قفص الاتهام وتمَ القبضُ على الذئبِ الذي اختطف الفتاة، واتضح عدم قدرتهِ على معاشرةِ النساء لكنهُ كانَ يتلذذ بامتلاكهن فقط... إرضاءً لرغباتهِ النفسية المريضة.
وظهرت براءةُ الفتاة والرجل الذي كشفَ حقيقةَ زوجتهُ وخيانتَها، وعادت الأحلامُ ورديةً كما كانت... لكن الأمرَ كان عصيباً...

غروبٌ قبل الأوان

مأساةٌ في أروقةِ المَحَاكِمْ

طالَ أمد القضية، فهذهِ هي السنةُ الثالثة وحقهُ لم يَعُد بعد....، كانت قضيةَ أرضهِ التي ورثها عن أبيهِ وأبيهِ عن جده، وهي الآن مغتصبه، والمحاكم لم تجدِ نفعاً والقضاءُ مُتخاذلٌ أو متهاونْ، وحقهُ بدأ في الضياعْ.
وفي أحدِ الأيام وبينما كان يشكو ما حلَّ بهِ من ظلمٍ متمثلاً في اغتصابِ أرضهِ دونما إنصافٍ من القضاء، أشارَ عليهِ صديقهُ أن يدفعَ للقاضي ليحكم لهُ فهو من القضاةِ سيئي السُمعة و واسعي الذمة.
رفضَ ذلك وأبدى اِنزعاجهُ من تلكَ المشورة التي وصفها بالشيطانيةِ وغادرَ مجلسه.
فكرَ بالأمرِ خالياً...
لكنْ هل يلجأُ للرشوةِ؟!.
هل يخالفُ ضميرهُ ومبادئهُ التي عاشَ مدافعاً عنها ومُردِدَاً لها؟!.
ما بالـــيدِ حيلهْ، فالضرورات تبيحُ المحظوراتْ، لكن.... من أينَ لهُ بالــمالْ؟!!.
أيستدينْ؟!. أيقبلُ على نفسهِ همّ الليلِ وذلّ النهار؟

إذاَ ليس أمامهُ خيارٌ آخر... سيبيع مصدر الدخل الوحيد لـهُ ولأسرتهِ المكونـةِ من خمسة أبنـاءٍ وزوجـهْ، سيبيع سيارتهُ التي يعملُ عليها.
كان يُدركُ أن قطعةَ الأرض لا تستحق تلكَ التضحية، لكن يجب عليهِ أن يحفظَ ماءَ وجههِ أمام أبناء قريتـه حتـى لا يقولـوا أنـهُ فرَّطَ فـي أرضـهِ ولـم يستطعِ المحافظـةَ عليها والدفاع عنها.
كـانَ يُدرِكُ تمامـاً أن خصمهُ يُريـدُ إراقـة ماءَ وجهـهِ بعدَ إفلاسه... لكن لن يتأتى لهُ ذلك. فلن يسمح لهُ بتحقيقِ مآربهِ، فبعد أن يستعيد أرضه سيشتري بثمنها سيارةً أخرى، وبذلك يحفظ ماءَ وجههِ ويعيدُ مصدرَ دخلهْ.
كانَ ذلك ما فكرَ بهِ وعزم على تنفيذه، وبالفعلِ بـاعَ السيارة وذهب بثمنها إلى القاضي!!...
فوجئَ بعدم قبول القاضي ذلكَ المـال!!. لا لعفافـهِ ونزاهتـهِ وإنمـا لأن المـال أقل من أن يُشبعُ نهمـهُ وطمعـه، وبعد أن رجاهُ، بل كاد يقبلُ الأرض تحتَ قدميه أخذهُ دونَ أن يعدهُ بشيء.
كان خصمهُ الخبيثُ ينتظرُ ذلك بفارغِ الصبر، ولما كـان لـهُ ذلك ذهبَ إلى القاضـي منتفخَ الكرش ودفع لـهُ أضعافَ ما دفع هو، فكانَ أن حكمَ لهُ القاضي بملكيةِ الأرض.
جُنَّ جنونُ المسكين فقد خسر أرضه كما خسر مصدر دخلَ أسرتهُ الوحيد...ماذا سيفعل الآن؟!... وكيفَ سيتصرف؟!!

استشاط غضباً وعصفت الأفكارُ برأسه كدوامةٍ لا نهاية لها وفي لحظةٍ حدَدتْ مستقبلهُ ومستقبلَ أسرته أفرغَ مسدسهُ في صدر ذلك القاضي والمُغتصب أمام المحكمة... تاركاً أبنائهُ الخمسةَ وزوجتهُ عرضةً للضياعِ والتشردِ مُحتسباً إياهُمْ عِندَ الله.

تحتَ الرماد

بعد اثنَـــي عشرةَ عاماً فرَقـَـهُمـَا... جـَمـَعـَتـهـُما صِدفة مَحضَـة وغيرَ مُتوقعه!!.... أزاحتْ رَماداً عن جمرٍ كان يَظـُنهُ أخمدَ وانطـَفـَأتْ جَذوتـهُ، لكـِنهُ يكتشفُ الآن أنـهُ ما زالَ مُتوهجاً، بل إنهُ وبعد هذا اللقاء ازدادَ وسيزدَادُ لهيباً.
كانـتْ قـِصةَ حُـبٍّ عـَظـيمٍ جـَمعهما ولـم يـُكتبْ لـهُ أن يعيش... كـانَ حُباً عُـذرياً سَامـــــــــياً بـَدأت فـُصولهُ بـِطفولـَـةٍ بـَريـئةٍ واَستلطـافٍ من الطَـرفيـن... نضـجَ مُبكِراً ليكَـون زَهرةً تـرعـرعتْ تحتَ نـَاظـِريـهـما لحظـةً بلحظة... لـِتـُصبح أملاً هـو الأغلى والأقـربُ للنفس ِحتـى تـَدَخَّلَ القدرُ... وكانَ الفُرَاقْ.
والآن يـَتـَدَخل مـَرةً أُخرَى لِيكونَ اللقاءُ.... مـحـضُ صِدفة.

موعدٌ مع القَدر

أتت برفقة والدها ووالدتها التي لم تُطق فراقهما وهي الطفلة التي لم تتجاوز السنة الثامنة بعد أن عجز عن معالجتها ومُساعدتها في التماثل للشفاء معالجي القرية الشعبيين وكذا مشعوذيها فلجأ للمدينة طالباً ما افتقده في قريتهِ.

لم تكن المدينة أوفر حظاً من القرية التي أتيا منها، فقد طاف بجميع مشافيها تقريباً ولكن دون جدوى ودون فائدةٍ تُرجى.. وحال الطفلةُ في تدهورٍ مستمر.

لم يعد أمامه سوى العاصمة، فهي آخرُ آماله في شفاءِ فلذة كبدهِ ونجاتها من الموت .

جاء للمدينة... قرع أبواب مشافيها التي لم تكن أفضلُ حالاً من مدينتهِ التي أتى منها، حيثُ كان كلُ طبيبٍ ينفي ما شخصهُ الأطباء من قبلهِ وبالتالي يطلب أشعاتٍ وتحاليل جديدة على رغم وجودها و حداثتها، وحال الرجل كحال ابنته في تدهورٍ وتراجع واضحين.... باع كل ما يمتلكه من أرضٍ في سبيلِ العلاجِ الذي كان صعب المنال.

نصحهُ الكثير من الناس بالذهاب إلى طبيبٍ معروف، دلوهُ على مكانه فطرق بابه وقد بدأ اليأس يتسرب إلى قلبه، ولكنهُ كالمُشرف على الغرق الذي يبحثُ عن قشةٍ للنجاة.

ألقى الطبيب نظرةً متفحصةً على نتائج التحاليل والأشعة بعد أن فحص الطفلة التي أصبحت على حافة القبر، قطب جبينه... ظهرت ملامحُ القلق على وجهه.

ما الأمر؟! هل ستعيش؟! أسئلةٌ كثيرةٌ كانت تبحث عن إجاباتٍ تجول في ذهن والد الطفلة ... أما الأم فما زال هناك بصيصٌ من الأمل لديها وشعرةٌ لا ترجوا انقطاعها... في حين أن الأب كان قد وصل لمرحلة اليأس وفقد الأمل تماماًَ!.

لهفة الطبيب أعادت إليه بصيص الأمل المفقود عندما صاح جهزوا غرفة العمليات بسرعة.

و ما هي إلا لحظاتٍ حتى أصبحت جاهزةً، اتجه الطبيب إليها بخطواتٍ متسارعةٍ ووالدي الطفلةِ خلفهُ يحاولان الاطمئنان، وقف الطبيبُ عند باب الغرفةِ وتوجه إلى والدي الطفلةِ قائلاً:- تأخرتم كثيراً ولو أنكم تأخرتم يوماً آخر لكانت الطفلةُ في عداد الموتى ، كان من المفترض نقلها إلى الخارج، لكن لم يعد هناك وقت لذلك فحالتها تستدعي إجراء العملية فوراً... ودخل الطبيبُ غرفة العمليات ووالدي الطفلة وراء الباب بين جيئةٍ وذهاب، لم تكد تمر نصف ساعةٍ حتى ذهب والد الطفلةِ إلى إحدى الممرضات سائلاَ إياها:- كم تستغرق العملية وقتاً؟!

- ستستغرق وقتاً طويلاً يصلُ إلى أربع ساعات، فهي عمليةٌ معقدة.

- هل سبق لكم إجراءها بالمستشفى؟!.
- نعم من وقتٍ لآخر. لكن هذه أول مرةٍ نجريها لطفلة... على كل حال فالدكتور أحمد مُتخصص في مثل هذا النوعِ من العمليات ويُعدُ من كبار الجراحين في العالم ولا داعي للقلق أبداً.
في ذلك الوقت كان الدكتور قد فتحَ مكاناً ووصـــل إلى القلب وبدأ بإجـــراء العمليةِ و....... ماذا حدث؟!.
انطفأت الكهرباء فجأةً، وتبعاً لذلك فقد انطفأت جميعُ الأجهزة بغرفةِ العمليات.
ارتبك الدكتور، توتر.. صاح شغلوا المولدات الاحتياطية بسرعة، خرجت إحدى الممرضات من غرفة العمليات مسرعةً ثم عادت.. المولد الاحتياطي مُعطل يا دكتور.
- كيف ذلك ؟! أين مدير المستشفى؟!. تصـرفوا بسرعة... هيا..
في تلك اللحظات كانت الطفلة تلفظُ آخر أنفاسها ... وانتقلت إلى بارئها تشكو القسوة والإهمال.
خرج الطبيبُ والدمعُ يكاد يُغرقُ عينيه.. فكان أبلغُ من أي كلام... فهم والد الطفلة الأمر فاحتضن زوجته وبكى بحرقةِ والأم تحاول الفكاك منهُ لتسأل عن حال طفلتها التي لم تتوقع أن تفقدها بهذه السهولة بعد انتظار خمسة عشر عاماً ولم تنجب سواها... التقت عيناها بعيني الطبيب المغرورقةُ بالدموع وسألت:- ابنتي.... أين هي؟!

ليجيبها الدكتور بألمٍ وحسرةٍ:- احتسبيها عند الله..
وقع الخبرُ كالصاعقة عليها....... فكان سبباً لتعرضها لذبحةٍ صدريةٍ أُدخلت على إثرها العناية المركزة التي لم تكن مركزةً بل كانت كأي غرفةٍ عاديه فجميع أجهزتها الطبية تنتظرُ الكهرباء...
و لحقت الأم بطفلتها البريئة ودموعها لم تبُارح عينيها بعد...

سُخريَةُ الأقدارْ

بعدَ مكابدةٍ للمرضِ استمرت ثلاثةَ أعوامٍ دونَ أن يَعلمَ بهِ أحد، بدأتْ معالمُ ما يخفيهِ بالظهورْ.... لاحظتْ والدتهُ ذلكَ فأخبرتْ أخيهِ الوحيد الذي سَارعَ بإسعافهِ إلى المشفى.
وبعدَ فحوصٍ أجريت لهُ عُلم مَرضهُ الذي أخفاهُ، بل وتمنى الموت ليكتمهُ كآخرَ سرٍ من أسرارهِ التي لم تكن قليلة، واحتاجَ لكميةٍ من الدم لتعويض ما فقدهُ مِنهُ.
كانت فصيلةُ دَمهِ نادرة بل نادرةٌ جدا، وبعد البحث في بنك الدم الذي لم يجدوا فيهِ إلا كميةً قليلة لا تفي بنصفِ الاحتياج بدئوا بالبحثُ في المستشفيات ومن ثَمَّ البحثُ عن متبرعين، ولحسنِ حظهِ أن كانت فصيلةُ دَمِ أخيهِ نفسَ فصيلة دمهِ.
اتجهَ الأخُ لبنكِ الدم لإجراءِ الفحوصاتِ قبلَ التبرع وهناكَ كانتِ المفاجأة... لم يُقبلْ دمهُ!.. تساءل عن السببِ ولم يجدْ إجابة شافية إنما كانَ يشعُرُ بنظراتٍ لم يستطع تفسيرها، خصوصاً من المُمرضات وأطباءِ المُستشفى... لم يكترثْ لذلكَ وتابع البحث عن دمٍ لأخيهْ.
وبعدَ أن تماثلَ أخوهُ للشفاءِ وعودتهَ إلى المنزلِ بدأ السؤال يُفرضُ نفسهُ... لماذا لم يُقبلْ دمهُ؟!. عادَ للمستشفى باحثاً عن إجابةٍ فلم يجدها... نَصحهُ الطبيبُ الذي فحصَ دمهُ بإعادةِ الفحص بالمختبرِ المركزي لعدمِ تأكدهِ من نتيجةِ الفحصِ السابق.

شغلهُ ذلكَ كثيراً... لم يعرفْ ذلكَ غير صديقه الذي كانَ بمثابةِ توأمهُ الذي لا يفارقهُ... لم يكتمْ عنهُ قلقهُ وتوجسهُ من الأمر.. توقعَ الإصابةَ بفيروس الكبدِ البائي وكانَ مرعوباً لذلك كثيراً... ولم يكن يعرفُ عن ذلكَ الفيروس الكثير، سِوى أنهُ خطير... دونَ علمهِ بمدى خطورتهُ.
لاحظَ صديقهُ شدةَ قلقه فنصحهُ بالذهابَ لإعادة ِالفحص كما أشارَ الطبيب كي يقتلَ الشكَ باليقينِ فإن كانَ ما يُرعبهُ بدأ بعلاجهِ حتى لا يتفاقمَ المرضُ ويزدَادَ الخطرُ، وبالفعلِ ذهبَ إلى هناكَ وأُخِذت منهُ عينةً من الدم والنتيجةُ في الغدْ.. مرَّ عليهِ ذلكَ اليوم كَدهر... لم يجدِ النوم سبيلاً لعينيهِ تلك الليلة التي طالت والوسَاوِسُ تـُكدرُ عَيشهُ.. وفي الصباح ذهبَ إلى صديقهُ واتجها إلى المختبر حيثُ قابلَ الطبيب الذي طلبَ الانفرادَ بهِ..
- هل أنتَ مُتزوج ؟
- لا .
- هل لك علاقاتٍ مع الجنسِ الآخر ؟ !
- علاقاتُ زمالةٍ لا تـَتـَعدى حد العمل .
- اقصدُ علاقاتٍ جنسيه .
- أستغفرُ الله .. بالتأكيدِ لا .
- أرجو أن تكون صَريحاً .
- أنا بِمنتهى الصراحة .
- هل كنتَ تشكُ بشيءِ ما ؟ !

- نعم .
- ما هو ... ؟ !
- اشكُ بإصابتي بفيروسِ الكبدِ البائي .
- فقط ؟ !
- فقطْ ! ! !
- ما الذي جعلكَ تـُجري هذهِ الفحوصاتُ أذنْ ؟!.
- قلتُ لك ... كنتُ اشكُ بإصابتي بفيروس الكبدِ البائي .
- ما سببُ الشكِ بإصابتكَ بذلكَ المرض ؟!.
- تقدمتُ بالتبرعِ بالدمِ لأخي ولم يقبل مني على رغم انهُ من نفسِ فصيلتهُ .
- لماذا لم تشكْ إلا بفيروسِ الكبدِ البائي ؟ ! .
- لأني لا اعرفُ سِواهُ يظهرُ في الدم .
- لماذا لم تشك في السكرِ مثلاً على رغم انتشارهِ وشهرته ؟ ! .
- لا ادري .... هل أنا مصابٌ بهِ ؟ ! .
- لا .
- ماذا إذن ؟ !
- لا ادري ماذا أقول ، لكن يجبُ أن تعرف .
- اعرفُ ماذا ؟ !
- أنتَ مصابٌ بنقصِ المناعةِ المكتسبة .
- ء إيدز ؟ ! ((برعب))
- للأسف .

- غيرُ معقولٍ لا بُدَ انكَ تمزح .. أو لعلهُ خطئٌ أو اختلاطٌ بالأوراق.
- يمكنكَ إعادةُ الفحص ؟ ! .
- بالتأكيد ... فأنا واثقٌ من خلوي منهُ ... ثم إني لم اقرب الحرامَ قطْ.
- الاتصالُ الجنسي ليسَ الوسيلةَ الوحيدة َلانتقالِ الفيروس فقد ينتقلُ عن طريقِ نقلِ دمٍ.. أو استعمال أدوات ملوثة بهِ ثاقبة للجلد كالإبرِ أو أدواتُ الحلاقةِ مثلاً... ولا بأسَ من إعادة ِالفحص.

خرجَ من غرفةِ الطبيبِ متغيرَ الملامحِ... سألهُ صديقه ُعما جرى فلم يخبرهُ... تبدلت طباعهُ وتغيرت تصرفاته... صَارَ شديدَ العصبيةِ لأتفه ِالأشياءِ... لم يجد النومَ سبيلاً إلى عينيهِ في تلك الليلة أيضاً و التي صارت أشدُّ وطأً من الليلةِ الماضية.

وفي الصباح أتجهَ إلى المختبرِ وحيداً وقابلَ الطبيب وكانت الطامةُ الكُبرى فقد تأكدت أصابتهُ بالفيروس الذي توقعهُ أخوهُ بل تمنى الموت ليَكتَم ِسرهِ... لكن ما خشيهُ أخوهُ ولم يخشهُ هو شاءت الأقدار أن يكون مقدراً عليه.

كان حفلُ زفافهِ بعد اقلَ من الشهرِ... اِفتعلَ الأسبابَ لعدم إتمامهِ حتى لا يَربطَ مصيرهُ المجهول بمصيرِ فتاةٍ أحبَّها.... مُؤثِراً العيشَ بقيةَ أيامهِ على ذكرى ذلكَ الحب.... راضياً بما قُدِّرَ عليه.

غرابُ البين

حاولتُ ثنيهُ كثيراً عن رغبته في الهجرةِ والاغتراب في أرضٍ ليس لهُ فيها أحد.... أرض لا يعرف عنها وعن أهلها شيء، خصوصاً وقد أصبحت للمسلمين في الغرب معاملة خاصة وقاسيه منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر....

لكن جوابه كان مقنعاً ومفحماً على رغم اقتضابه.... حيث رد عليَّ بنبرةٍ جمعت بين تفاؤله بالمستقبلِ وتشاؤمه من الماضي وذكرياتهِ... بين فرحهِ المُصطنع وحزنه الكامنُ والمتغلغلُ في حنايا صدره... بين ابتسامتهِ الحانية ودموعه التي لم يستطع حبسها تلك اللحظة.

- لم تبق مدينةٌ في الوطن إلا ولنا ذكرياتٌ فيها،... كنا ثلاثةً.. طفلينِ ووالدُنا الذي كان الأب والأم والأخ والصديق، كان أنيسنا وسميرنا ونحنُ كنا كذلك بالنسبةِ له، لم نطلب منهُ شيئاً أو نتمناهُ في يومٍ إلا أحضرهُ... حتى لو كان صعبَ المنال ولا أبالغُ إذا ما قلتُ أننا لو طلبنا لبن العصفور لأحضرهُ لنا...لا أتذكر الكثير عن تلك المرحلة لكن الشيء الذي لا أستطيع نسيانهُ أبداً أننا كنا أسعد أسرةٍ في العالم حتى دخل علينا غراب البين الذي فرق جمعنا، وحطم أمانينا، وقلب أفراحنا حُزناً، وسعادتنا بؤساً، وأحلامنا كوابيس... ففي أول ليلةٍ جثم على الأسرة ضُربتُ لأول مرةٍ من والدي لسببٍ كنتُ أجهلهُ ولم أُدركهُ إلا بعد أعوام...

ذلك أني ظننتُ أن غراب البين هو الأم التي لم نسأل عنها أبداً.
كان ذلك ما بنيت على أساسه أحلامي وأمنياتي المستقبلية، فأردتُ أن أُداعبها كما يداعبُ الأطفالُ أُمهَاتهم!.. إلا أن النتيجة كانت أقسى من تصور طفلٍ لم يجاوز التاسعة.... حزَّ ذلك في نفسي كثيراً وأثَّرَ فيها أيَّما تأثير.
وبَدَأتْ على إثرِ تلك الحادثة رحلة البحثُ والتفتيش عن الأم و السؤال عنها كأي طفلٍ حنَّ إلى صدر أمهِ واحتاج للحظةٍ حانيةٍ منها.
وعلى رغم توقف الرحلات التي كنا قد اعتدنا عليها... منذ دخول غراب البين على الأسرة إلا أني لم أستقر نفسياً ولو للحظةٍ واحده... فقد كنتُ في رحيلٍ دائم مع الأفكار... لِذا لم أعُد قادراً على البقاء في مكانٍ واحدٍ... حتى ولو في نفسي!...
كان ذلك آخرُ ما قالهُ أحمد قبلَ أن يرتقي سلم الطائرة ليبدأ ترحالاً جديداً فرضها قدرهُ... وغربةً لعلها تطول وقد لا تنتهي!... تبدأ في عاصمةِ الضباب...ولا يَعلمُ أين تنتهي؟!!.

حينَ تُزهرُ الآمال

لم تكنْ أكثرَ من لقاءاتٍ عابرةٍ تكررتْ مرتينِ أو ثلاثاً، لكنها كانت كفيلةً لأسرِ قلبهِ وجَرجَرتِهِ في بحرِ عينيها العميقُ والمجهولْ... مجهولُ النظراتِ التي رمقتهُ بِها في كلِ مَرةٍ من تلكَ المرات التي جمعتْ عينيه بِعَينيها اللتَينِ أوحتا لهُ بشيءٍ ما عميقْ... عميقٌ إلى حدِ أنْ خشيَ التفكيرَ والإبحارَ في معانيهِ التي يُرهبهُ مُجردَ التفكيرُ في مُغايرتِها لتقديرهُ وتصورهْ، خصوصاً أنهُ أصبحَ أسيراً وموثوقاً بِحُبِها من أولِ نظرةٍ وأولِ لقاءْ.

لم تكنْ تلكَ اللقاءاتُ إلا صدفةً محضةً، أوقعتهُ في شركٍ حاولَ كثيراً تجنبهُ، خُصوصاً ولهُ تجربةَ حُبٍ فاشلةٍ ومؤلمةٍ يَخشى تِكرارها... سِيما وأثارها ما تزالُ مَرسُومةً على ملامحهِ إلى اليومِ متمثلةً بنظرةِ الحزنِ الذي تُوحِي بهِ عيناهُ وتؤكدهُ كلُ تَصرفاتهِ على رغمِ مُرور أكثرَ من سبعِ سنواتٍ على تلكَ التجربةِ التي لم يَستطع نِسيانها... ولم يَستطع تطبيبَ الجرحِ الذي أحدثتهُ والذي ما زالَ نازفاً للآن.

على رغم ذلكَ الخوفِ وتلكَ الرهبةِ التي يعيشُها مُنذ تلكَ اللقاءاتُ إلا أنهُ يتمنى أن تتكرر وتَجمعه بها صِدفةٌ أخرى،

علـــى أمـــل أن يكـــونَ اللقـــاءُ الجديـــدُ كفـــيلاً لانـــدمالِ الجرحِ القديمْ... إن كانَ ثمة لَقاءْ!!.

الغُربَة. . .وقِطعةُ السَكاكِر

أوجسا خيفةً من اللحظةِ التي يخشيَانِها... وهاهي ذي قد أتت، وهاهما يتعانقا العناق الأخير... كلاً منهما لا يريد الانفصال عن الآخر... كانَ عناقاً حاراً لصديقينِ لم يفترقا مُنذُ ثلاث سنوات جمعتهما في منزلٍ واحدٍ وعملٍ واحدٍ كذلكَ وأثناء ذلك العناق الدافئ علا صوتُ المضيفة الداخلية بصالةِ المغادرة بالمطار تنبه المسافرين إلى سرعة الذهاب ناحية بوابةِ الخروجِ إلى الرصيفِ حيثُ ينتظرهم (الميكرو باص) لنقلهم إلى الطائرة حيثُ استغرقَ بنومٍ عميق أيقظهُ منهُ صوتُ المضيفةُ وهي تهنئهم بسلامةِ الوصول.

كادَ قلبهُ يطيرُ من فرطِ الشوقِ إلى أسرتهِ... والدهُ، ووالدته، وأخواته الثلاث، وأخوهُ الصغير الذي تركهُ رضيعا ما يزال يحبو.. لابد أنهُ الآن تلميذاً نشيطاً كما كان هو... تُرى كيف صارَ شكلهُ؟!. صحيح أنهم كانوا يرسلون إليهِ الصور في الرسائل التي بعثوا بها إليه لكن رأيَ العينِ يختلفُ كثيرا.

وبعد سيل من الذكرياتِ وأطياف الخيال عن كيفية وقع مفاجئةِ وصولهُ بعد غياب ثمانِ سنواتٍ خصوصاً أنة كانَ قد أخبرهم في آخر اتصالٍ لهُ عن عدم اقتراب موعد العودة... استقلَ سيارة ألحَ كثيراً على سائقها بزيادة السرعة... كان خفقانُ قلبهِ يزدادُ كلما تجاوزت السيارةُ جولةً.. أو شارعاً.. أو حتى عمود إنارة... وفي أثناء الطريق اِستضافهُ السائقُ بقطعة مَن السكاكر... وبعد لحظاتٍ حدث ما لم يتوقعهُ أبداً... حيثُ اِستيقظ ذلك العائد المشتاق لأهلهِ ووطنهِ ليجدَ نفسهُ ملقىً بين شجيراتٍ بِجَانِبِ الطريق؟!!. ما الذي حدث؟!!

أعادَ شريطَ الذكرياتِ إلى الصباح... أفاقَ كالعادةِ وأخذ حماماً ساخناً، ثم تناول إفطارهُ مع الأسرة التي استضافتهُ الثلاث السنوات الأخيرة من غربتهِ كأحدِ أفرادها... سلم عليهم وودعهم فرداً فرداً عدا الابن الأكبر الذي رافقهُ للمطار حيث تعانقا العَناقَ الأخير....

ثم ركبَ الطائرةَ التي حملتهُ لأرضِ الوطنِ... استأجرَ سيارةً للمنزلِ وفي الطريق...آه... قطعةُ السكاكر...أحس بالذهول وبرغبةٍ شديدةٍ بالبكاء، كيف سيواجه الناس والمجتمع؟!! ماذا سيقولُ لأصدقائهِ وجيرانه؟!! أيقولُ لهم أنه قد خُدع؟!! أيقولُ انهُ سُرق قبلَ أن يصلَ إليهم؟!.

أدركَ أنهُ لا فائدةَ تُرَجّى من الحزنِ والندم لأنَ ما ضاعَ أو ما سُرقَ لن يعود... وأدركَ أيضاً أنهُ لا فائدةَ من العودةِ

الآن... فعـــادَ إلـــى بـــلادِ الغربـــةِ التـــي أصـــبحت ارضَ الوطـــنْ... دون أن يـَرى أسرتهُ وأخاهُ الذي تـَركهُ وهو مازال يحبو...

خصلاتٌ من شَعرٍ ملتهب ـــــــ

أقاصيص

(نَصيب)

كان يُحضرُ نفسهُ لذلك اللقاء ..
قررَ البوحَ لها بمشاعرهِ التي يكتُمها مُنذ أكثر من ثلاثةِ أعوام
وعندما التقيا بادرتهُ
بارك لي !... خُطبتُ البارحة**!!!**

(صُورة)

كان فناناً ناجحاً ومشهوراً...
أحبها بجنون ... وأحبتهُ كذلك
عاندتهما الأقدارُ كثيراً .... وحاولت التفريق بينهما
لكن حبهما كان أقوى من أيةِ ظروف
و حان موعدُ الزفاف ... لحظات تفصل عقد القران
امرأة تخترق الصفوف
Stop توقف.... ما الذي حدث؟!!
مُعجبةٌ تريدُ توقيعهُ على صوره!!!!

(مفاجأة)

طاردها كثيراً ... من شارعٍ لشارع ... ومن محلٍ لمحلْ
لم يدخر كلمةً في معاكستها (يا حلو.... يا جميل .. يا أبو عيون جريئة...)
طرقت باب منزلهِ... ارتعدت فرائصهُ ... خشي أن تكون من معارفِ والدته..
قرر أن يواجه الموقف
وعندما ولج إلى المنزل كانت المفاجئة !!
فقد كانت أُم أحمد .... أُمهُ!!.

(قدر)

أخيراً .. سَترى أمها بعد أن حرمتها الأقدارُ منها بعد ولادتها مباشرةً
وقعت الحربُ...
دُمرت المدينةُ تدميراً شبه كامل
يا للأقدار!!.. لم تقع ضحيةُ بالمدينةِ ... سِواها!!

(جوهرٌ مفقود)

أتى من بريطانيا بعد أن شَرح الله صدرهُ للإسلام ليتعلم من أهلها التعاليم الإسلاميةِ السمحة في إحدى البلدان الإسلامية.. وبعدَ يومٍ واحدٍ... عادَ من حيثُ أتى!!!.

(فرصه)

انتظر تلك اللحظة بفارغِ الصبر ...
وعندما سنحت الفرصة...
استغلها.

(بخيل)

كانَ بخيلاً جداً
لم يدفع في حياتهِ قط!..
لكن المرة الوحيدة التي دفع بها.. كان الثمنُ غالياً جداً...
كان حياته!!.

خصلاتٌ من شعرٍ مُلتهب

تراءت أمام ناظره فراشة حسناء تمشي الهوينا كغزالٍ يتراقصُ بالروضِ قفزاً ولعباً، كانت خصلاتُها الملتهبة التي تبدو من تحت حجابها الوردي تزيدها جمالاً وفتنه، فتركت أثراً بالغاً في نفسهِ إلى درجة أنهُ صار ينتظرها كل يومٍ بنفس المكان و الزمان علها تكحل ناظرهُ بمُحياها حتى كانَ لهُ ذلك بعد مكابدةٍ للشوق شهراً كاملاً.

ما أن رآها مقبلةً حتى اتجه إليها وبلا شعور بادرها:- طال غيابكِ عني كثيراً!!

لم ترد على كلامهِ بل أبدت أمارات التعجب والاستغراب!!.

كان شعورهُ وهو يُكلمها أنهُ يَعرفُها من زمنٍ غير قصير، استغربَ برودها واستغرابها ناسيا أن هذه أول مره يتحدث معها.

- من أنت؟! أفاقَ بعد سؤالها وكأنهُ كانَ بغيبوبةٍ أو حلمٍ لم يدم طويلاً .
- أعتذر نسيت أن أعرفكِ بنفسي وذلك بسبب لهفتي لهذا اللقاء فقد انتظرتهُ شهراً كاملاً .
- أيُّ لقاء؟! ثم من أنت حتى تكلمني بهذه الطريقة؟!
- أعتذر مرة أخرى، اسمي طه عبد القدوس، طالب بكلية التجارة. . .
- وأنا ماذا يعنيني بكل ما تقول؟!.

- قد لا يعنيك الآن.
- ماذا تقصد؟
- أقصد أنهُ يزيدني شرفاً أن أتعرف عليكِ.
- لِمَ ؟!
- لنترك لمَ الآن ، الأيام كفيلةٌ بالإجابةِ على كل ما قد يدور بذهنك.
- أنت جريءٌ جداً.
- أنا ؟!.
- نعم وعجيبٌ أيضاً .
- لمَ ؟!
- لنترك لِمَ الآن ، أستأذنكَ ... فلدي محاضرات .
- سأنتظركِ إذن حتى تُنهي محاضراتك .
- لِمَ ؟!
- لنترك لِمَ حتى تُنهي محاضراتكِ .

ابتسمت باستغرابٍ وذهبت... في حين انتظـَرها أمام كليتها حتى عادت بعد ساعتين مرتا عليهِ كدهر... مشت أمامهُ ولم تـُعِرهُ أي اهتمامٍ أو انتباه .. لحقَ بها

- عفواً ... عفواً

التفتت إليهِ مستغربه

- نعم ماذا تريد ؟!.
- ألم اقل لكِ أني سأنتظركِ حتى تعودي ؟!
- ولمَ تنتظرني أصلاً

- لأني انتظرتُ هذا اللقاء شهراً كاملاً كما سبق وقلتُ لكِ.
- وأنا قلتُ لكَ لِمَ تنتظرني أصلاً؟!
- قلتُ لكِ لنترك لِمَ الآن فالأيامُ كفيلة بالردِ على كل تساؤلاتك.
- وبأي صفةٍ إذن تكلمني وتستوقفني بهذه الطريقة؟!
- ألم تفهمي لحد اللحظة لِمَ؟!
- لا لمْ أفهم لحدِ اللحظةِ لِمَ!!.
- لأني أحبكِ

تسمرت للحظاتٍ قبل أن ترد:-

- إما أنك وقح أو جريء لحد الوقاحة!.
- أنا لستُ وقحاً لكني مؤمنٌ أن الصراحة هي الأساس الذي ينبغي أن تُبنَى عليهِ أي علاقة إنسانية.
- لا أدري ماذا أقول... رجاء لا تضايقني مرة أخرى.
- لم أقصد مضايقتكِ أبداً .
- قصدتَ أم لمْ تَقصد، اعذرني يجبُ أن أذهب.
- لحظة واحده فقط.
- ((بحنق)) ..نعم ماذا تريد؟!
- أريد أن أوضح لكِ
- توضح ماذا؟!
- أوضح لكِ الأمر!.
- أيُّ أمر ؟

- ألم تلاحظي أني لا أعرف اسمكِ لحد الآن!!
- ولِمَ تعرفهُ أصلاً؟!
- قلتُ لكِ لِمَ.
- أرجوك ... لا تتعرض لي مرة أخرى وإلا شكوتكَ للأمن الجامعي.
- أنا لم أُسيء لكِ حتى تقولي هذا!
- بل تُسيء .. من فضلك ارحل الآن.... قالتها ورحلت من فورها.

بقيَّ في مكانهِ لحظاتٍ متسمراً فلم يتوقع مثل هذا اللقاء الذي خيب أملهُ كثيراً ...

وبعد أسبوعٍ واحدٍ ...

- أتذكري ذلكَ اللقاءْ ؟!

لم تجب ولم ترفع رأسها!!

- الآن لابد أنك فهمتي لِمَ!! (مبتسماً)

رفعت عينيها إليهِ مبتسمةً بخجلٍ و الطرحة البيضاء ما تزالُ تُغطي شعرها ذو الخصلاتِ الذهبيةِ ووجهها... فرفعَ رأسها... وطبعَ قبلةً حانيةً على جبينها .

كانَ حبيبي

أصبح حُبهُما ذكرى بعد أن اغتال القدر أمالهما ليجعلها ماضياً... ذكرى..، وتناوبت الأيام في دفن ذلك الحبَّ الذي كان جمراً مُتقِداً تحت الرماد.

رأتهُ ذات يومٍ على شاشةِ إحدى الفضائيات وابنتها بجوارها، لم تستطع إخفاءَ معالم السعادة والفرح... كانت معالم وجهها جليةً واضحة حيث لاحظت ابنتها ذلك ولم تكن هي الوحيدة التي لاحظت فقد لاحظ ذلك زوجها الذي لم يكن غافلاً عن حبها القديم، غَيَّـرَ القناة فصاحت دون شعور (أَرْجِعْ حبيبي)!!.

تكهرب الجو وعم الصمت لحظاتٍ قبل أن يرمي الزوج جهاز التحكم الخاص بالتلفزيون مُغادراً الغرفة.... شعرت بالحرج من ذلك فقد انطقها الحبُّ دون شعور وشعرت بالأسى تجاه زوجها الذي لابد أن كلمتها قد جرحتهُ.

كان شوقها لاستعادة الماضي أكبر من قدرتها على استسماح زوجها، حتى ابنتها ذات الأربعة عشر ربيعا لاحظت ذلك وغادرت الغرفة بحنق.

أخذَت جهاز التحكم و أعادت القناة وتابعت البرنامج... عرفت أنهُ عُين بمنصبٍ مهمٍ فعزمت على زيارته بمكتبه.

لم يعرفها في بادئ الأمر و لم يكترث لوجودها، كان المكتب مكتظاً بالزوار.. خرج أخر زائر. وهي تنتظر أن ينظر إليها!!.

كان مشغولاً و لم يرفع رأسه إليها حين رآها بين الجموع... ظنها مع أحدهم....

اقتربت منهُ... رفع رأسهُ إليها... وقف.. تسمر.. استعاد اتزانهُ..

- أهلا وسهلاً بكِ..
- مُبارك المنصب الجديد .
- أشكركِ ... لكن كيف علمتي بذلك؟
- أتابع أخباركَ دائماً
- أتُهمكِ أخباري؟!
- هل عندكَ شكٌ بذلك ؟!

" لم يرد عليها .. واكتفى بابتسامة مصطنعة " .

- ما أخباركَ ؟!.
- قُلتي أنكِ تتابعينها دائماً !!
- صحيح...
- لِمَ تسألين عنها إذن؟
- أعتقد أن علاقتنا أكبر من أن نتابع أخبار بعضنا البعض بوسائل الإعلام !!.
- تقصدين علاقتنا التي كانت... أعتقد أنك الآن متزوجة؟!

جَرحتها إجابتهُ... لكنها لم تـُشعِرهُ بذلك وردت بثقة:-

- نعم ولدي طفلة... على كل حال مُبارك مرة أخرى..... أراك بخير.
- لم تشربي شيئاً.
- شكرا جزيلا لك ... أتيتُ للتهنئة فقط للزمالة التي كانت بيننا... وأعتذر لمجيئي دون موعد.
- نجوى.
- مدام نجوى لو سمحت .
- أعتذر. (ارتبك.. شعر بأنه قد أساء التصرف معها.. شَعرَ لحظتها أن حبها ما يزال مُتقِداً بحناياه).
- لم يحدث ما يستدعي الاعتذار... أُذكركَ فقط أنني أصبحتُ متزوجة.. مُبارك وأعتذر مرة أخرى.

خرجت وهي تحبس دموعها التي كانت تتدافع لحظة خروجها من المكتب....حيثُ لم تكن تتوقع أبداً لقاءاً كهذا... كانت الصدمة كبيرة... لكنها أيقنت أن زوجها أحق بتلك الدموع خصوصاً وقد أدركت حجم خطئها ومقدار الجرح بعد أن ذاقت من نفس الكأس الذي جرعتهُ إياهُ ليلة البارحة أمام ثمرة زواجهما.

خصلاتٌ من شَعرٍ ملتهب ـــــــ

(ك – ج)

قصةُ جرح

- صباح الخير.
- صباح النور ... تفضلي كارلا
- أتسمح لي بسؤال؟!
- تفضلي.
- ما مناسبة إهدائك لي قصةُ جرحٌ بملامح إنسان؟!
- ما من مناسبةٍ لذلك... وقصةُ جرحٌ بملامح إنسان لم تكن مُهداةً للكِ أصلاً كارلا
- كيف والإهداء كان لـ (ك – ج)؟!!
- صحيح... ألديكِ متسعاً من الوقت لأوضح لكِ الأمر؟!
- نعم.. بالتأكيد.
- صحيح أن الإهداء كان لـ (ك – ج) والمقصود ب (ك– ج) ليس كارلا جورج.
- إذن من (ك – ج) إذا لم أكن أنا؟!
- (ك_ ج) صديقٌ عزيزٌ تعرفتُ عليه عن طريق الإنترنت منذُ ثلاث سنوات تقريباً... سوريٌ من حلب، من أسرةٍ مُترفةٍ.. وكان يهيمُ حباً بابنةِ عمه ((ريم)) التي خطبها لهُ أبوه بحياته على رغم تذمر والدها وموافقتهُ مُرغَماً حتى

لا يخسر أخوهُ وبالتالي ثروتهُ... لكن الأمر تغير بعد ذلك بعد أن أصبحت الثروة بمتناول يده فقد استطاع الحصول على توكيلٍ عام أثناء مرض أخوه الأخير والذي لم يقم بعده... وبالتالي باع كل شيءٍ لنفسهِ بذلك التوكيل واتجهت أطماعهُ نحو صهره الذي لم يكن اقل غِنى من أخيه الذي مات فبدأ التخطيط لخطبة ابنة صهرة لابنه، وبالفعل طلبها من أبيها الذي وافق بشرط أن يخطبَ ابنتهُ لابنهِ أيضاً على الرغم من أنها مخطوبة لابن عمها فوافق على ذلك.

كان يدرك أن ابن أخيه لن يسمح لهُ بذلك مطلقاً، لذلك افتعل الأسباب لفسخ تلك الخطبة إلا أن ((ريم)) لم تكن أقل حباً لابن عمها منهُ، فلم يجد والدها إلا الحيلة لإتمام مشروعهِ بعد أن شق عليه إبعادهما عن بعضهما فأرسل كريم إلى دمشق لعقدِ صفقةٍ مع ممثل إحدى الشركاتِ العالميةِ الذي كان يزور دمشق في تلك الفترة واتفق مع صهرة أن يتما مراسم الزواج بتلك الليلة..!! إلا أن سيارة كريم تعطلت في الطريق واضطرَّ للعودة إلى حلب وتأجيل السفر لليومِ التالي، وعندما عاد إلى الفيلا شعر بارتباك والدته.. فعرف أنها تـُخفي أمرا وليس لديهِ أهم من ((ريم)) ولم يتبادر لذهنه غيرها فلعل شيئا قد حدث لها!.. سأل عنها والدته فلم تخبره بشيء.... ذهب من فورهِ إلى فيلة عمه التي لم يجد فيها أحد مما زاد قلقة... اخبرهُ البواب أنه سمع عمه يتحدث

بالهاتف المحمول أن العرس سيكون في قاعة فندق حلب فاتجه من فوره إلى هناك وكان أول ما وقع عليهِ نظرهُ في القاعة حبيبته ((ريم)) مرتديةً فستان الزفاف وابن خالها إلى جوارها.. اتجه إليها دون شعورٍ وما أن صار أمامها حتى جثم على ركبتيه وعيناهُ مغرورقتان بالدموع التي تعاتب بصمتٍ وحزنٍ وقهرٍ وحيرةٍ حباً كان عمرهُ عُمريهما تقريباً فما كان منها إلا أن جثمت هي الأخرى على ركبتها لتجيبه بنفس اللغة الصامتة والعبرات... كأنها تقول لهُ أنا معذورةٌ كذلك.. إذاً من نُعاتب؟!. نُعاتبُ الحياةُ التي استكثرت علينا السعادة واستعذبت لنا الأنين!!! ناحا بصوتٍ واحدٍ واحتضنا بعضيهما والأنظارُ متجهةٌ لذلك الموقف في ذهول... موقفٌ أدمع الجميع وأخرس حتى عازفي الموسيقى ليسود الصمتُ تلك اللحظات الرهيبة بحياتهما وحياة كل من شهد ذلك الموقف أما العريس فقد تسمر واقفاً!!

كسر حاجز الصمت صُراخ والدها منادياً الحراس وهو يحاول انتزاع كريم من أحضان حبيبته والقاعةُ ما تزال غارقةٌ بذهول ورهبة ذلك الموقف!!

حضر الحراس وانتزعوا كريم واتجهوا به إلى الدرج حيثُ قُذفَ هناك وسقطَ ليضرب رأسه بحاجزها الحديدي ليسيل دمهُ مُعلناً انتهاء جرحٍ بملامح إنسان وسقوط عاشقٍ يُضافُ إلى عالم العشاق يُدعى ((كريم جبران)).... رحمة الله عليه...

الزمنُ المتشَظِي على الأرضِ العَطشى

أتى منذر عبد الكريم من قريته باحثاً عن فرصةِ عملٍ مناسبةٍ ليتمكن من إكمال مشوار حياته التي كانت مليئة بالجورِ والقسوةِ في قريتهِ التي مازال يشتاقُ لها كثيراً.. تمكن من الحصول على وظيفةٍ جيدةٍ واستأجرَ غرفةً متواضعة للمبيت.

كان من عادتهِ الجري لمسافةٍ قبل النوم... خصوصاً وهو ابنُ بيئةٍ جبلية تتطلب صعوداً ونزولاً ومشياً طويلاً، خصوصاً ووسائل المواصلات لم تصل لكل مكان ينبغي أن تصل إليه لوعورة الطريق، كان يمارسُ تلك العادة الرياضية بمنطقةٍ مرتفعةٍ قليلاً عن المدينةِ قل ما يأتيها أحد في الليل، يفصلها عن طريق مرور السيارات سور حديدي طويل متقطع كُسرت بعضُ أعمدتهِ الحديدية، كان يركض على الطريقِ الموازي لتلك الطريق حتى يشعر بالتعب ليعود فيرتمي على فراشهِ حتى الصباح، فالمُتعبُ ينام بمجرد أن يصل للفراش.. وما ذلك الركض إلا محاولةٍ لعدم تسرب ذكريات الطفولة المريرة إلى حياته الجديدة.

وبينما يمارس ذلك ذاتَ ليلةٍ عَبْرَ تلك المنطقة المنقطعة إذ بسيارةٍ تدخلها ثم تطفئ أنوار مصابيحها الأمامية... راودهُ الشكُ لذلك فذهبَ ليتفحص المكان بخطىً بطيئة بها شيءٌ من التردِدِ والخوف من مجهولٍ هو مُقدمٌ عليه، إلى أن

وصل إلى كومةٍ من التراب جُمعت من ارضٍ حُفرت بجانبها لكي يقام عليها مشروعٍ استثماري.
وإذا به يسمع أحدهم يستغيثُ، فاقترب أكثر... إذا بشخصين يُخرجا ثالث من السيارة بالقوة وهو يصرخ فيبادرهُ أحدهما برعونةٍ:-

- لا تُتعب نفسك فلن يسمعكَ أحدٌ فقلما يمرُ شخصٌ هنا بالنهار فكيف بالليل؟! في حين أن الآخر قد أمسكَ خِنجراً، أما الثالث فواقفٌ خلف باب السيارة المفتوح وقد بدا علية الخوفُ والارتباك.. صرخ بغضبٍ بهما:-
- أنهيا المهمة بسرعةٍ أيها الغبيان وكفاكما ثرثرةً.
- حسناً سيدي... ولكن أليس من حقهِ أن يطلب أمنيةً أخيرةً قبل أن يموت!. (ويقهقه هو ورفيقه فيقاطعه سيده بغضب)
- أنا لا أعرف كيف تعمل معنا وأنت بهذا الغباء؟!
- لأن عملنا هذا لا يتطلبُ ذكاءً بقدر ما يتطلبُ شجاعةً وقسوةً يا سيدي.

وفي أثناء ذلك الجدل كان مُنذر قد وصلَ إلى خلفِ سيدهما الواقف خلف الباب متسللاً وبلحافٍ كان على عنقه طوق عنق ذلك الرجل وصاح به أأمرهم أن يتركاه.
فصاح الرجل برعبٍ:-

- اتركاه.. اتركاهُ أيها الغبيان.

وابتعد منذر عن السيارة واللحاف لا زال يطوق عنق الرجل وصاح به مرةً أخرى:-
- ءأمرهم أن يُغادرا بالسيارة إلى الخارج.
- وأنا.. ماذا ستفعلُ بي؟!
فصاح به:-
- نفذ ما قلتهُ لك.
فأمرهم بذلك، وبعد أن وصلوا إلى خلف السور الحديدي قال لهُ بمنتهى الهدوء والثبات:-
- لا أريد أن أراك مرةً أخرى.... وأبعد اللحاف عن عنقهِ، فابتلع الرجل ريقه وجرى نحو السيارة مُتعثرا بعد كل خطوتين وكأنما وحشٌ يلاحقه... إلى أن وصل للسيارة...
- تحركا... تحركا بسرعةٍ أيها الغبيان.
اقترب منذر من ذلك الرجل الذي أنقذهُ ولا يعرف عنه شيء واصطحبهُ إلى غرفتهِ..
- ماء... أرجوك كوب ماء..
أحضر له الماء فشربهُ ويديه ترتعشان لتظهر أي تعذيبٍ تعرض لهُ.
- شكراً لك...
وخيم على تلك الغرفة لحظات سكون كئيب قطعهُ الرجل المنهك بصوتٍ كحاله.
- أشكرك على إنقاذك حياتي .

- لا شكر على واجب.... إنما من هؤلاء؟ ولِمَ أرادوا قتلك؟
- إنها قصة طويلة... بدأت عندما تركتُ قريتي للعمل هنا ومواصلة تعليمي الجامعي... حيثُ تعرفت بالجامعةِ على زميلٍ لي لم أخفي عنه ظروفي وحاجتي للعمل فعرفني على مكتب للاستيراد والتصدير.. توسط لي عند مدير المكتب فعملت لديهم نظير أجرٍ لمْ أكن احلم بمثله.
- وما ذلك العمل؟.
- أن أحمل حقيبة متوسطة الحجم إلى مكان معين يومياً.
- وما الذي بداخلها؟!
- هذا ما حاولتُ معرفتهُ مؤخراً فكان سبباً في ما رأيته بأم عينك.
- ماذا تقصد؟!
- راودني الشك فيما احمله بهذه الحقيبة يوميا... وبدافع الفضول فتحتُ الحقيبة فإذا بها أكياس بودرة بيضاء تشبهُ المخدرات التي لم أرها إلا في الأفلام... أوصلتها كالعادة وعدتُ إلى منزلي الذي كانوا قد استأجروه لي ولوالدتي... وفي الصباح ذهبت للمكتب وقدمتُ استقالتي وعدتُ إلى المنزل مهموماً فسألتني والدتي عن سبب عودتي مبكراً فأخبرتها بتركي للعمل وأننا سنترك المنزل أيضاَ.

وخرجتُ لأبحث عن منزلٍ آخر نسكنُ به، إلى أن وجدتُ منزلاً آخر، فعدتُ لاصطحاب والدتي للمنزل الجديد فلم أجدها بالمنزل... ظننتُ للوهلة الأولى أنها ذهبت إلى جارتنا كعادتها إلى أن رن جرس الهاتف... أجبتُ فإذا المتحدث يقول لي إذا أردت والدتك فأتي إلى المكتبِ فوراً... ولشدة ارتباكي وفيض همومي لم أستطع تمييز الصوت ولم يتبادر لذهني أي مكتبٍ يقصد!! تجمدتُ للحظاتْ... عصفت بي الأفكار كأنما هي شريط فيديو أعاد كل الأحداث الأخيرة بتلك اللحظات القصيرة، عندها اتضح لي أن المتحدث قبل قليل هو مدير مكتب الاستيراد والتصدير... خرجتُ من فوري إلى المكتب الذي كان مديرة ينتظرني بفارغ الصبر فبادرني:-

- ارجوا أن تكون قد استوعبت الدرس وعرفت أن من يعمل معنا لا يمكن أن يتركنا إلا إذا أردنا ذلك.. وبطريقتنا نحن.

ظننتُ أنهم قد أخذوا والدتي رهينة حتى أعود للعمل لديهم، وقد كنت مستعداً لذلك من أجل والدتي فسألتهُ:-

- أين والدتي ؟!.
- ستلتقي بها اذهب إلى السكرتير وسيوصلك إليها.. ضرب الجرس فدخل سكرتيرهُ :-
- دعه يلقى والدته.

أخـذني إلـى مكـان شـبيه بـالهنجر حيـث حـاولوا اسـتدراجي بالكلام ظناً منهم أنى قد أبلغت عنهم الشرطة وعندما أيقنوا أن ذلك لم يحدث ساموني أشــكال العذاب وربطوني لفترة مُغمضَ العينين ثم أخرجوني للباب فإذا بسيارةٍ تنتظرنا وبجانبها شخصين أدخلاني بالخلف وركبا إلى جانبي وقاد السكرتير السيارة وذهبوا بي إلى تلك المنطقة الخالية والباقي تعرفهُ جيدا.. أنا عاجز عن شكرك والآن اسمح لي.

- اسمح لك بماذا؟!
- يجب أن اذهب.
- إلى أين؟!

اطرق واجماً وخفض رأسه:- لا ادري..

- ستبقى معي
- لا يمكن.
- لماذا؟!
- أعرف أنهم لن يتركوني وشأني أبداً ولا أريد أن أعرضك للأذى بسببي.
- لكنهم لا يعرفونَ مكانك .
- سيبحثوا إلى أن يجدوني ..
- كان ذلك ممكنا لو أننا في قريةٍ أو مدينةٍ صغيرة... لكننا في العاصمة ومن الصعب بل من المستحيل أن يجدوك بين مليون ونصف من البشر.. سترافقني من الغد إلى

عملي وستعود إلى مواصلة دراستكَ حين تقرر أنت ذلك وسنبقى معاً بهذه الغرفة...

- ودَمُ أمي؟!

- سننتقم لها عندما يحين الوقت... أعدك بهذا، وافق ذلك الشاب ومر شهر وهما لا يفترقا أبداً وفي ذات يومٍ وهما على وشك الخروج كالعادة...

- لن آتي معك اليوم!.

- لماذا؟!

- لأني سأذهب إلى الجامعة فقد فاتني الكثير من المُحاضرات، فرح منذر لذلك وذهب إلى عملهِ، في حين ذهب الأخيرُ إلى الجامعة، وصل مُنذر إلى عمله مسروراً فصديقه الذي اصبح أخاً له قد تجاوزَ أزمتهِ وعاد لجامعته.

وفجأةً تغيرت ملامح مُنذر!!.. أحس أن ذلك الأخ والصديق كان من نسجِ الخيال أو لعلهُ حلم أوشَكَ على الانتهاء.. كأنهُ طيف أتى وذهب ولن يراهُ مرةً أخرى وبعد تدفق الخواطر والذكريات التي أعادتهُ إلى يوم إنقاذهِ له والتعرف عليه.

تذكر معرفتهم لِمكان دراسته الجامعية وحتماً فهم يبحثون عنه لإخماد أنفاسه... قام من كرسيه وصاح بصوتٍ عالٍ يملأهُ الرعب و به نبرةُ الشك واليقين في آنٍ واحد!!

- لا

تبادل زملائه النظرات وبادرهُ أحدهم ما بك؟!.

لكنــهُ هـرعَ مهـرولاً إلـى الخـارجِ مـدفوعاً وكأنمـا زلزلـتِ الأرضُ تحــت قدميــه وذهــب إلـــى الجامعـــة وهنـــاك رأى مجموعةً من الناس متجمعين حول شيءٍ ما!!

مر أحدهم بجانبه فسألهُ برعبٍ كأنما يعرفُ الجواب سلفاً بَيدَ أن شعرة الأمل التـي لا يرجو انقطاعها تـوحي لـهُ بمـا يرغبُ هو بهِ ويؤملهُ.. مُرعبٌ أن يكون ما يظنهُ يقيناً... لا يتصور أن يعود إلى غرفته دون صديقه الذي يُذَكِرهُ به كل ركنٍ فيها... أُخبِرَ أن أحدهم قتل هنـاك بطعنـةٍ فـي صـدرهِ من سائقِ دراجةٍ ناريةٍ أثناء قطعهِ للطريق!.

اقتـرب منـهم وبجـانبهم سيارة الإسـعاف وكأنـهُ فـي كـابوس شديد الوطأةِ على النفس وحين وصل رأى الكـابوس حقيقـةً مرعبـةً ماثلـةً فيمن آنس وحدتـه شـهراً أو يزيد يغـرقُ فـي دمائه... فخرَ مغشياً عليه.

وعندما أفاق رأى ما حوله!. أدرك حينها أن مكروهاً قد حدث فعلاَ... حاول إيهامَ نفسه بعكس ذلك... و في تلكَ الأثناء دخلت الممرضةُ مُرتديةً جلباباً وطرحه بيضاء واقتربت منه وبلطفٍ قالت:- حمداً لله على السلامة..

- من أحضرني إلى هنا (مستغرباً).
- أغميَّ عليكَ عندما كنا ننقل جريحاً

أعاد إليه كلامها بعض الأمل..

- وكيف حاله الآن ؟ !
- أهو قريبٌ لك؟!

- إنه أخي..

في تلك الأثناء دخل الدكتور

- حمد لله على سلامتك، كيف حالكَ الآن؟
- الحمد لله أشارت للدكتور وانسحبت معه إلى خارج الغرفةِ وقالت بصوتٍ خافت.
- انه أخٌ للقتيل ...
- لا حول ولا قوة إلا بالله.... هل عرفَ أنهُ مات ؟!
- لا... ما رأيكَ أن نؤجل ذلك الآن!.
- لا يُستحسَن أن يتعلق بأملٍ كاذب

في أثناء ذلك اقترب عضو النيابة الذي جاء للتحقيق في ذلك وخاطب الدكتور قائلاً :-

- هل أستطيع استجوابه عن الحادث ؟
- بالطبع تفضل .
- شكراً .

اقترب عضو النيابة من مُنذر وبدأ بسرد أسئلته:-

- هل تعرف القتيل ؟
- هل مات ؟
- نعم

اسودت الدنيا في وجه وتبدد الأمل للمرةً الأخيرة وغرقتْ عيناهُ بدمعٍ غزيرْ .

- هلْ لهُ أعداء؟!
- لا .

خرج من المستشفى وعاد لغرفته، وفورَ وصولهِ بدأت الذكرياتُ تتزاحمُ في مخيلتهِ تذكر أخاً أتى فجأةً ورحل فجأة!. لكنهُ رحل إلى الأبد!..

أخرج من حقيبته كل المال الذي كان يدخرهُ للزواج واتجهَ إلى أكبر متاجر العاصمة للملابس واشترى بذلةً فخمةً وعاد للغرفةِ.

وفي صباح اليوم التالي ذهب إلى المكتب الذي كان يعمل به صديقه وقابل السكرتير الذي لم يعرفه!!.

مُنذر:- أريدُ مقابله المدير.

السكرتير:- هل لديك موعد سابق؟

مُنذر:- قل له إني أريدهُ في صفقةِ تصديرٍ ضخمةٍ ومستعجلة.

طرق السكرتيرُ باب مديرهِ بهدوءٍ ودخل السكرتير:- سيدي هناك شاب يقول انه يريد أن يعقد معنا صفقةً ضخمةً و مستعجلة.

المُدير:- هل هو من عملائنا؟

السكرتير:- لا... لكنَّهُ يبدو ثرياً جداً.

المُدير:- أدخله.

السكرتير:- تفضل يا سيدي.

دخل مُنذر وقام المدير لتحيته والترحيب به.

المدير:- أهلاً بك هذه هي المرةُ الأولى التي تتعامل معنا أليس كذلك؟!
مُنذر:- نعم وهي صفقه مربحةُ جداً، لكن أرجو أن تطلب من السكرتير الحضور!
المدير:- لماذا ؟!!
مُنذر:- أريدهُ في أمرٍ بسيط.
المدير يضغطُ على الجرس فيطرق السكرتير الباب ويدخل
السكرتير:- نعم سيدي.
المدير:- ادخل .
مُنذر:- تفضل اجلس .
السكرتير ينظرُ إلى المدير كأنما يستأذنه فيأذن له المدير
مُنذر :- هل لي أن أسألكَ سؤالاً ؟!
المدير:- تفضل .
منذر :- هل قُمتم بعمليةٍ بعد عمليةِ الأمس في الجامعة ؟!.
المدير تتغير ملامح وجهه وكذلك السكرتير
المدير :- ماذا تعني؟!
مُنذر :- لا أعني شيئاً يصمتُ للحظةٍ ثُم يستأنفُ كلامه، اعتقد أنها تمت في مثل هذا الوقت أليس كذلك؟!(ينظر إلى ساعته)... لا أحد يرد
مُنذر يوجه كلامه للسكرتير:- اعتقد أني التقيت بك من قبل !.

السكرتير ينظر إليه برعب فيستأنفُ مُنذر كلامه:- عندما فشلتم في المرةِ الأولى ألم اقل لك إني لا أريدُ أن أراكَ مرةً أخرى؟!
السكرتير ينهض ويحاول الفرار مُنذر:- انتظر لك عندي هديه (يقف السكرتير)!!
وانفجر المكتب وهز دوي انفجارهِ أنحاء المدينة حين فتح مُنذر حقيبةً دبلوماسيةً مليئةً بالمتفجرات..

قد يخدع الحبُّ أحياناً

أحبتـهُ بجنـون... اسـتطاع إقناعهـا ألا سـبيل لزواجهمـا إلا الهرب و الانتقال إلى حيث لا يعرفهما أحد!!. وافقت بعد ترددٍ وبعد أن كاد والدها يرغمها على الزواج بابن عمها الذي لم تكن تُطيقهُ وسافرت مع حبيبها إلى منطقةٍ ساحليةٍ وفي قريةٍ للصيادين استقرا فترةً من الزمن...

وفي زيارةِ شيخ القرية لهما ادعى أنها أخته حتى لا يطلب منهما عقد الزواج لأنهما لم يكونا قد تزوجا بعد!!. ومرتِ الأيام وهُما على ذلكَ الحال..

وذات يومٍ زار القرية أحد أثريائها المغتربين في إحدى دول الخليج العربي، كان كبيراً في السن ولم يتزوج بعد... أقام عند شيخ القرية الذي كان أعز أصدقائه بالقرية..... عرض عليه الزواج وأخبرهُ أن لديه لهُ عروساً فاتنة الجمال.. شديدة الأدب حتى أنها لم تخرج من بيتها إلا مرتين أو ثلاثاً منذُ أتت برفقةِ أخوها قبل ثمانية أشهر.

اقتنع الثريُ وذهبا لخطبتها من أخيها الذي طلب وقتاً للتفكير والتشاور مع أخته.

دبت الخلافات بينه وبينها.... ألحت عليه أن ينتقلا إلى مدينةٍ أخرى لإتمام زواجهما كما وعدها!!..

لم يوافق وعرض عليها أن يتما ما أسماهُ مسرحيةً للأخر وأن تقبل الزواج من ذلك الثري المسن ويظلا على ما هما عليه عاشقين لا أحد يدري ما أمرهما... لم توافــق بادئ الأمر لكنها وبمزيدٍ من الضغطِ والتهديد رضختْ فتزوجها المسن وطلب أخذها إلى بلاد غربتهِ حيثُ يقيم...

أشار عليها بالتحجج بعدم قدرتها على فراق أخيها ليطلب زوجها منهُ السفر معهما والإقامة لديهما ففعلت... أخبرهُ الزوج بأنه سيوفر له عملاً جيداً في إحدى شركاته هناك.

❁ ❁ ❁ ❁

تم السفر وهناك كان يشدد عليها ألا تحمل بأي شكلٍ في حين كان زوجها ينتظر ولياً للعهد بفارغ الصبر وحملت فعلاً بعد أن بدأت تقرفُ منهُ وتتعاطف مع زوجها الذي عاملها بكل لطفٍ وحنانٍ وكان لها الزوج والأب كذلك .

حاول العشيق إجهاضها اكثر من مره عندما كان يختلي بها ولم يستطع مما حدا بها أن تعرض على زوجها أن يستأجر شقه لأخيها الذي يشعر بالحرج عند الجلوس لديهم بغيةَ التخلص منه .

وبعد تناول الغداء في أحد الأيام صَارحهُ الزوجُ بمعرفتهِ حقيقة شعورهِ وتحرجهِ بالمقامِ لديهم وأخبرهُ أنهُ قد اشترى لهُ شقه فاخره ليسكن بها ويبدأُ في تأثيثها تمهيداً للزواج عندما يُقرر ذلك... كان ذلك بمثابة وضعهِ أمـــام أمرٍ واقعٍ لا يمكنـــه إلا الرضوخ لهُ.. كان يدرِك أنها من خطط لذلك

وانتقل إلى شقتهِ الجديدة.... و من وقتٍ لآخر كان يترددُ عليها مُهدداً ومُتوعِداً وسارِداً الأوامر.

حاول أكثر من مرةٍ اختطاف رضيعها بل و قتله فلاحظ خادمها كرهه للطفل ومحاولته إيذائهُ أكثر من مره!.. فعرضَ عليهِ أن يختطف الطفل ويُخفيهِ عن الوجود فنهره مدعياً عدم التفكير في ذلك وبعد أن فكر بالأمر ملياً وجِدياً أبلغ الخادم موافقتهُ على أن ينفذ بأسرع وقتٍ ممكن نظير مبلغٍ مُغري... وتم ذلك وسلم الخادم الطفل لأختهِ التي كانت تعملُ في بيتٍ آخر لتربيتهُ بموافقة العشيق وكان ذلك حمايةً للطفلِ من وجهة نظر الخادم الذي كان متيقناً بأنه إن لَم يفعل ذلك فإنهُ لا محالة سيقْتُل الصغير فأراد درأ الخطر عنهُ.

ازدادت حالة الزوج سواءً بعد اختطاف فلذة كبدهِ.. في حين كانت المرأةُ تُدركُ تماماً أن عشيقها هو من اختطفهُ حتى يستولي على كل شيء خصوصاً وقد أفصح لهُ الزوج و قبل تشريف هذا المولود أنهُ قد كتب لزوجتهِ كل ممتلكاته.

هددته مراراً وتكراراً ولم تفلح، و عندما فاض كيلها هددتهُ بفضحهِ وهدّ المعبد على من فيه إذا لم يعيد وليدها فقد كانت تُدرك حقيقة مخططهِ الذي يرمي إلى الزواج بها بعد وفاة زوجها وتُدرِكُ أيضاً أن كل مخططهِ معرضٌ للفشل لو علم زوجها بحقيقة علاقتهِ بها.

و كعادةِ الزوجُ خرج لعملهِ لكِنهُ هذه المرةَ لم يعُد منـهُ ُ فقد لقي حتفهُ في الطريق نتيجة عطل في مكابح سيارته.
وفـي اليـوم الثالـث للوفـاة تشـادا بالحـديث.... حيـثُ أطلعتـهُ بعلمهـا تـدبيره مقتـل زوجهـا وهددتـه بفضـح أمـرهِ إن لـم يُعِـد إليهـا طفلهـا لكنـهُ استطاع إقناعهـا أن لـيس لـه يـد فـي كـل مـا جرى وأنهُ قدرٌ لا أكثر وبعدها سارت الأمور سيراً هادئـاً لمدة عشرين عام.
كان الخادمُ مُطـَّلعا على كل تحركات العشيق إلا أنـه لـم يكـن يدرك حقيقة علاقته بزوجةِ سيدة...

۞ ۞ ۞ ۞

حاول العشيقُ جاهداً إقناعها الزواج بهِ و العودة إلـى الـوطن بعد تصفية أملاكها فلم توافق... لم يتسرب اليأس إليهِ فحاول مراراً وتكراراً إقناعها توكيلهُ حتـى يتسـنى لـهُ إدارة أملاكهـا بصورة أفضل لكنهُ لم يفلح البتة!..
وبعد إلحاحهُ أعطتـه منصـب رئـيس مجلـس الإدارة صـورياً بحيث لا يستطيع التصرف بشيء دون الرجوع إليها.
لجأ إلى نهايةٍ جذرية للوضع برُمتهِ فحاول قتلهـا ولـم يفلـح... لم تكن تتوقع أن يصل بـهِ الطمع لهذا الحد ولـم تتصـور أنـه يحاول ذلك.
كبر الطفلُ وصار يافعاً في ريعانِ الشباب... لـم يكـن يعـرف سوى أن عمه يعمل في خدمة إحدى الأسر وأنه من كفلهُ بعد وفاة والده، وازدادت تساؤلاتهِ لعمهِ عن مكان والديهِ!...

عندها لم يستطع الخادم كتمان السرِ أكثر فأخبر والدتهُ بمكان ابنها و قصَّ عليها كل ما جرى فخططت لتوكيل عشيقها للتفاوض باسمها في صفقةٍ خارج البلد...... و ذهبت لكي تستعيد ابنها..... وكان اللقاء....
كانت الدموع تسيل من عيون كل من حضر ذلك اللقاء... تأثرَ الجميع وتعاطفوا مع شابٍ يلقى أمهُ في ريعانِ شبابه، وأمِ تجدُ ابنها بعد أن فقدتهُ عشرون عاما... بالفعل كان اللقاءُ مُتأخراً.. بل مُتأخراً جدا... فعشرون عاماً ليست بالهينةِ أبدا.
عندما عاد العشيقُ تفاجأ بعودة الولد الضائع و الذي صار يافِعاً ولم يعد بمقدورهِ التحايل عليه ولا على أمهِ، أدركَ عندها أنه صار أمام أمرٍ واقعٍ وظل الأمر على ما هو عليه....
كان كريم شديد العداء لخالهِ بعد أن أوغرَ المُربي صدرهُ حيثُ كان لا يزال يعمل في خدمتهم، فاعتبرهُ كريم مرجعهُ بكل صغيرةٍ وكبيرة ولم يخفيه شكهُ بحقيقة العلاقة بين خاله ووالدته التي كان يشكُ بها كل من عمل لديهم بالفيلا... تربص كثيراً لكنهُ لم يفلح وذات يوم شارك برحلة الكلية إلى مدينةٍ سياحية وأثرية لكنه غير رأيه في آخر لحظة وعاد إلى الفيلا... كان مُصراً على أن يعرف كل شيء من والدته... فحياتهِ تفتقد الكثير حلقاتها حتى تكتمل والقصة التي روتها لهُ والدتهُ لا تقنع الطفل الصغير...

اتجه مباشرةً إلى غرفتها حيث لم تكن وحدها.... استوقفهُ بباب الغرفةِ المد والجزر الذي كان ما بين عتابٍ وصراخٍ ومداعبة!!..

سمع الحديث كامِلاً... فقد اعترفا كلاً للآخر بكل ما قاما بهِ بُغيةَ فتح صفحةٍ جديدةً لم تكتب لهما...

و في اليوم التالي اعتلت صفحات الصحف وبالمانشيت العريض:-

ابنها يكشف أمرها بعد عشرين سنةٍ من الخيانة ينهيها بيديه..

أقدامٌ على كفِ الغُموض

بينما هم مجتمعين هو وزوجته و وحيدهما يتناولون الفاكهة بعد الغداء كعادتهم بادر الابن أباه بسؤالٍ عن سبب إنشائه مستشفى القلب المجاني؟!

- تلك قصة طويلة بدأت منذ أكثر من خمس وثلاثين عاماً، عندما كان جدك يرحمهُ الله يعاني من تصلب في الشرايين. ومات على إثر ذلك المرض.
- ألم يكن العلم قد توصل إلى العلاج في ذلك الوقت؟
- بلى كان العلاج موجوداً ولكنه مكلِفٌ جداً في حين كنا فقراء ولا نقدر على دفع تكاليفه ومنذ ذلك الحين نذرت حياتي لبناء مستشفى خاص بالقلب للفقراء ، حتى لا يعاني أحد ما عانيتهُ في ريعان شبابي ، وبما أنك قد فتحت هذا الموضوع أريدك أن تعاهدني .
- على ماذا يا أبى؟
- على أن تكمل مشواري الذي بدأته .
- أعاهدكَ يا أبي .

و بالفعل تَخصصَ الابنُ بجراحةِ القلب كأبيهِ وعمل بالمستشفى إلى أن توفي والده فأدار المستشفى ..

كان شديد النهم للمال، في حين أن ذلك المستشفى المجاني لم يحقق آماله ولم يُشبع نهمه .

وفي أحد الأيام عرض على والدته أن يحوله من مستشفى مجاني إلى مستشفى خاص كباقي المستشفيات فصرخت الأمُ في وجهه:- أنسيت ما عاهدت والدكَ عليه؟!.
- لم أنس ولكن.....
- لكن ماذا؟ إذا كنت تريد مشفاً خاصاً فابنهِ بنفسك....
وتركته ودخلت غرفتها خرج إلى المستشفى كالعادة وفي مكتبه ظل يفكرُ إلى أن توصل لحيلةٍ، وعندما عاد إلى المنزل كانت والدته ما تزال غاضبةً منه فقبل رأسها قائلاً لها:-
- يا أمي أنتِ تعلمين أننا لا نستفيد من هذا المستشفى في شيء....
فقاطعته قائلتةً:- تلك وصيةُ والدك.
- إذاً ما رأيكِ بحلٍ وسط سيحقق وصيه والدي ولا يحرمنا من دخلٍ مشروعٍ أيضاً
- ما هو ؟
- أن نجعل هذا المستشفى مستشفى عام .
- وكيف ذلك ؟
- نجعله مستشفى يعالجُ كل الأمراض، بحيث يبقى قسم القلب مجاني وبذلك نكون قد حافظنا على وصيه والدي واستفدنا أيضاً.
افعل ما تراه مناسباً، غير أن قسم القلب سيظل مجاناً.

وبالفعل أدخَلَ للمستشفى أقسام جديدة فأصبح المستشفى متكاملاً، ولم يُؤَثر ذلك في سمعه المستشفى التي كانت في الآفاق وظل ذلك المستشفى مضرب الأمثال في الرعاية والإستطباب .
وفي ذات يوم زارهُ أحد كبار الأغنياء وفي مكتب السكرتارية.
- المدير موجود؟!
- نعم
- أيمكن أن أقابله ؟
- بخصوصِ ماذا ؟! أيوجد سابقُ موعد ؟
- لا ... لكن أرجو أن تخبريه أني هنا .
- من حضرتُك ؟
- المهندس أحمد شكري.
طرقت الباب ودخلت.
- دكتور أحمد ...
- نعم ...
- المهندس أحمد شكري يريدُ مُقابلتك .
- أحمد شكري..... أحمد شكري- محاولاً الاستذكار- أهو صاحبُ الشركات الوطنية للمقاولات؟!
- لا أدري .
- حسناً دعيه يدخل.
خرجت إليه

- مهندس أحمد تفضل بالدخول.
- شكراً
وفي الداخل
- أهلاً وسهلاً مهندس أحمد ... تفضل .
- شكراً... سمعتُ الكثير من الإطراءِ والمدح عن هذا المستشفى فأحببتُ زيارتهُ .
- أهلاً بك .
- في الحقيقة ولدي مصابٌ بفشلٍ كلوي و بحاجة لزراعة كليةٍ هل تقومون بمثل هذه العمليات هنا؟! .
- نعم بالتأكيد... هل المتبرع موجود؟
- ليس بعد،.. لكني سأعلن في جميع الجرائد عن ذلك وأتمنى أن تبحثوا كذلك عن متبرعٍ وسأدفع له ما يريد.
- إن شاء الله .
- شكراً لتعاونك، هذا ملفٌ بهِ تقريرٌ طبي عن حالة ابني... وهذا كرتٌ به جميع تلفوناتي . إلى اللقاء .
- مع السلامة .
وبعد خروج رجل الأعمال أبحر الدكتور في تفكير عميق وخطرت في باله فكره فاستدعى أخصائي الكلى .
- طلبتني دكتور .
- نعم تفضل .
- شكراً .
- أنت متزوج؟

- لماذا؟
- مجرد دردشة .
- لا لست متزوجاً .
- ولا خاطب؟
- بلى .
- ولماذا لم تتزوج؟
- ظروف .
- ظروف مادية . أليس كذلك؟
- بلى ولكن لمَ هذه الأسئلة؟
- لأني قررت رفع راتبك .
- شكراً جزيلاً لك .
- لكن ذلك مقابل عمل إضافي طبعا ً .
- ما هو ؟
- أن تنقل الكلية من شخص لآخر.
- لكن هذا هو عملي، أعالج الكلى و انقل الكلية من المتبرع إلى المريض .
- نعم ولكنك ستنقل الكلية من شخص ليس متبرع ولا يعرف ذلك أيضا .
- ماذا تقول ؟!!.
- لا تخف لن يعرف ذلك أحد .
- ولكن هذه مسؤولية ... ماذا لو كُشفَ الأمر ؟

- ومن الذي سيكشفنا، نحن سنأخذ الكلى من مرضى القلب الفقراء، وذلك بمثابة الأجر لأنهم لا يستطيعون الدفع، وأنت تعلم كم يحصل المتبرع بكليته... مئات الآلاف!!
- نعم لكن ذلك مقابل كليته!!
- ونحن مقابل عملنا، ألا تريد أن تتزوج وتشتري سياره و.... و.... و....
- ولكن إذا كُشفنا؟
- قلتُ لكَ لن يكشفنا أحد .
- أفكر في الأمر.
- ليس هناك وقت للتفكير، ألا تريد أن تتزوج وتفتحُ بيتاً بل ستصبح غنياً أيضاً!.
- لكن ...
- لكن ماذا؟!
- موافق ، على أن لي النصف من كل عمليه ..
- ماذا؟ النصف !.
- نعم أنت تعلم أن تلك مخاطره .
- موافق...اطلع على هذهِ الكشفياتِ والفحوص.. نريدُ شخصاً يتوافق مع هذا... و سنبدأ من اليوم، تستطيع أن تذهب الآن .
وعلى الفور اتصل بالمهندس أحمد .
- الو ... المهندس أحمد .
- نعم .

- الدكتور أحمد جابر يُهاتفك .
- أهلا ومرحباً بك .
- أرجو أن أراك بالغد بالمستشفى .
- حسناً .

وفي الغد وصل أحمد شكري ..

- هل وجدتم مُتبرع ؟
- نعم.
- هل أستطيع أن أراه ؟
- لا .. فقد طلب ألا يراه أو يعرفه أحد .
- لكن لماذا ؟.
- لا أدري ، يقول أن ظروفهُ تمنعه من ذلك .
- على العموم شكراً له ، ومتى العملية ؟.
- في الوقت الذي يُناسبك .
- اليوم .
- لا يمكن ذلك فلا بد من بعض الفحوصات و الكشافات قبل العميلة .
- إذاً سأُحضِرُ ابني الآن والمال سأوصلهُ لك لتوصله للمتبرع بمعرفتك .
- وهو كذلك.....

وبعد خمسة أعوام كثَّفتْ إحدى المجلات الدعاية للمستشفى دون طلب منها فذهب مدير المتشفى ليشكر رئيس تحرير تلك المجلة على ذلك وعند ما وصل لمقر المجلة طلب

مقابلــة مــدير التحريــر فــدخلت السـكرتيرة للاسـتئذان لــهُ بالدخول:-
- أستاذ سامي .
- نعم .
- الدكتور أحمد جابر يريد مقابلتك .
- دعيه يتفضل .
خرجت إليه .
- دكتور أحمد تفضل .
- شكراً .
وفي الداخل ...
- أهلاً وسهلا بفاعلِ الخيرِ وصاحب المروءة والمبادئ .
- أشكرك جزيل الشكر، في الحقيقة أتيتُ لأشكركم على كتابات مجلتكم عن المستشفى .
- العفو هذا اقل واجب تجاهكم ثم إني كنت في أحد الأيام أحد مرضاكم عندما كنت في بداية حياتي العملية حينها كنت صحفياً مبتدأً و أجريتم لي عمليه القلب المفتوح مجاناً لذلك من يستحق الشكر هو انتم سيدي .
- العفو فتلك هي مهمة الطبيب واجبنا يحتم علينا تخفيف آلام المرضى دون النظر إلى العائد المادي .

- نعم ولأنكم ممن أدركوا أن مهنة الطب إنسانية أكتب عن مشـفاكم العظـيم ولـن أنـس أنني كنت ذات يـوم أحـد مرضاكم... ويعلم الله أيُّ حال كنت فيه الآن لولا إدراككم لمعنى الطب وإنسانيته.
- أشكرك ويشرفني أن نكون أصدقاء.
- هذا شرف لي.
- تشرفت بمعرفتك أستاذ سامي والآن اسمح لي.
- لم نشرب شيئاً.
- مره أخرى ... إلي اللقاء .
- إلى اللقاء .

تعمقت صداقتهما و اصبح الدكتور أحمد جابر من أعز أصدقاء الأستاذ سامي وفي ذات يوم ذهب الأستاذ سامي لزيارة الدكتور أحمد في المستشفى و أثناء الحديث شعر الأستاذ سامي بألمٍ مفاجئ .
- آه . امسك على بطنهِ وقد بدأ العرق يتصبب .
- ما بك ؟!
- لا شيء ألمٌ بسيط .
- يجب الفحصُ عليك وعمل بعض الكشافات أيضاً.. هيا.
- ليس الآن .
- لماذا ليس الآن؟!

- لأني مسافرٌ حالاً لحضورِ مؤتمرٍ صحفي خارج المدينة .
- لكن لن استغرق وقتاً طويلاً .
- فيما بعد أنا مستعجل الآن بإذنك.... إلى اللقاء.
- حسناً كما تُريد .. إلى اللقاء .
وسافر الأستاذ سامي لمدينةٍ في أقصى الجنوب واشتد عليه الألم هناك وذهب للطبيب وبعد أن أجرى فحوصاتٍ وكشافات.
الدكتور- تبرعت بكليتك أليس كذلك.
- لا لم أتبرع بها .
- وكيف ذلك لا يوجد لديكَ سوى كليةٍ واحدةٍ فقط والأخرى يبدو انك تبرعت بها قبل خمس أو ستُ سنوات... لا بد أنك نسيت!!
- أنا لم أنس ولم أتبرع بها أبداً ولم أجرِ سوى عمليةِ القلب المفتوح وكان ذلك منذُ..... وسكت أبحر في الذكريات وقد بدأ عليه الذهول و الدهشة وهو يقول أيمكن ذلك؟!!!.
لم يستوعب الموقف!!. أيمكن أن يكون الدكتور أحمد جابر لِصاً وتاجرَ أعضاء بشرية أيتسترُ بالعمل الإنساني المتمثل بإجراء عمليات القلب المجانية؟!! إذن فهي لم تكن مجانيةً البتة!!

بل إن الثمن غالٍ جداً.. عاد الأستاذ سامي رفع على الدكتور أحمد قضيةً اتهمهُ فيها بالمتاجرة بالأعضاء البشرية وأصبح الموضوع قضية رأيٍ عام خصوصا والجميع يشيد ويشهد بنزاهة الدكتور أحمد.... كانت المفاجأة كبيرة عندما استطاع الأستاذ سامي إثبات دعواه... و كسب تلك القضيةُ وأُغـلِقَ المستشفى وزج بالدكتور سامي ومن تعاون معه في السجن...

~ ~

صِدفةٌ أو رِقت حُبا

عَبرَ ممرٍ طويل كستهُ الطبيعةُ سندساً أخضراً وظللتهُ بأشجارٍ باسقةٍ تملأُ أرجاءهُ، و تجانبهُ أشجارٌ متوسطةُ الطولِ، مقصوصةٍ بشكلٍ هندسيٍ منتظم ورائع ولج سامي إلى الحديقة العذراء التي تبدو وكأن يد الإنسان لم تصلها بعد... جلس على أحد مقاعدها فإذا حسناء على المقعد المقابل ترمقهُ... كانت نظراتُها غريبةً بحيثُ لم يستطع تفسيرها، اضطربَ وارتبكَ بادئ الأمر لكِنهُ اظهر عدم اكتراثه بذلك، أخرج قلمهُ وبدأ يكتب كما هي عادتُه في ذلك، هي الأخرى فتحت كتابها وبدأت تقرأ فيه وبين الفينةِ والأخرى يرمق كلا منهما الأخر.

شعر بالحرج فأعاد قلمه إلى جيبه وهَمَّ بالمغادرةِ على الرغم أن جلساته تستمرُ في بعض الأحيان الساعة والساعتين، وعندما أصبح على بعد أمتارٍ منها تمنى لو انه لم يبرح مكانه... التفت نحوها فإذا هي الأخرى تستعدُ للمغادرة... اتجه للكافتيريا التي تجانب الممر بُغية الحصول على المزيد من الوقت حتى تقترب... لم يدر ما يتذرع بهِ و يشتريهِ إلا أن أحدهم طلب سيجارةً فكان ذلك بمثابةِ إسعاف أو عذرٍ لسبب مجيئهِ فطلب سيجارةً كذلك.... كانت تتابع ذلك دون أن يلحظها... التفت نحوها فإذا هي تكاد تسبقه استعجل عامل الكافتيريا الذي تأخر فتركه ولحق بها لكنها

كانت قد توارت عن الأنظار خلف سور الحديقة... خرج هو الآخر متلفتاً نحو اليمين تارة ونحو اليسار أخرى... كانت تلاحظ ذلك من خلف عاكس سيارتها الحمراء الفخمة في حين لم يتمكن من رؤيتها فَهَمَ بالاتجاه المعاكس... نادته... التفت لمصدر الصوت... أشارت إليهِ فاتجه إليها:-

- تفضل بالصعود أخرستهُ جرأتها... بقي على حالتهِ مستمراً ينظر إليها (فكررت).
- أرجوك .. تفضل صعد وأخذت السيارة طريقها فبادرته.
- هل لي بسؤال؟!
- تفضلي.هل تدخن؟!
- لا.
- لماذا إذن طلبت عُلبة سجائر؟! (مبتسمة) ارتبك واحمرَّ وجههُ... لم يجد رداً مقنعاً وأمام ابتسامتها لم يجد رَداً سِوى الابتسام... وسادَ الصمتُ للحظات...
- لماذا أنت صامت؟!
- ماذا أقول؟!
- قل أي شيء ... أتأتي إلى هُنا دائماً ؟!
- لا... آتي فقط عند شعوري بالملل والتعب.. وأنتِ!!
- أنا ماذا؟!
- هل تأتي دائما إلى هنا ؟!
- آتي عادة صباح الخميس للترويح عن نفسي ، هذا المكان يُذكرني ببلدي .

- لبنان!!. أليسَ كذلك؟!
- وكيف عرفت؟!
- من لهجتُكِ.
- نعم أنا من لبنان... حيثُ الطبيعة العذراء... إنها فعلاً ساحرة (صمتت لحظة ثُم استأنفت) عفواً هل لي بسؤال؟!
- تفضلي.
- ماذا كنت تكتب؟!
- قولي لي أولاَ.. هل سأراك صباح الخميس القادم؟!
- أين؟!
- بالحديقة.
- (ابتسمت وهي تنظر إليه)
- إن شاء الله.
- إذاً ستعرفين ما كتبتهُ يوم الخميس... توقفي أرجوك.
- لماذا؟!
- لأن منزلي هناك في ركن الشارع. (مشيراً بيده)
- حسنا... على فكره لم أتشرف بالتعرفِ على اسمكَ بعد..
- سامي... سامي أحمد عبد القادر .. وأنتِ ؟!
- ليلى وائل عبد الله.
- تشرفنا... إلى اللقاء.
- لا تنس الموعد.

- بالتأكيد.
دخل المنزل وهو يُغني على غير عادتهِ فقد عُرِف بالرزانـةِ و الوقار والاتزان
فبادرته أختهُ:- تبدو على غير عادتك.
_ ماذا تقصدين؟
_ اقصد انك تُغني بسعادة.
_ أنا أُغني ... أنت تحلمين (دخل غرفتهُ وأغلق الباب)

۞ ۞ ۞ ۞

صعدت ليلى إلى غرفتها فورَ وصولِها المنزل وأدخلت كاسيت الموسيقى الكلاسيكية إلى المسجل، واستَلقت على سريرها تتذكر أحداثَ يومها.... تتذكر ذلك الشاب الذي قابلتهُ صباح اليوم وكان معها منذ نصف ساعة نهضت وغيرت ملابسها وأخذت ريشتها وألوانها وبدأت بالرسم... وهكذا كلما عادت لغرفتها.

۞ ۞ ۞ ۞

وفي صباح الخميس ذهبت حسب الموعدِ وعندما وصلت وجدتهُ على نفس المقعد
_ صباح الخير.
_ صباح النور.
_ هل تأخرت؟!
_ لا. أنا الذي جئتُ مبكراً
_ كان أسبوعا بطيئاً ومملاً.

_ هل تعتقدين ذلك.
_ أظن ذلك .
_ لقد مر عَلَيَّ كدهر (ابتسمت)
_ مـاذا كنـت تكتـب الأسبوع الماضـي... لقـد وعـدتني أن تخبرنـي اليوم.
_ بالتأكيد .
أعطاها ورقةً... فتحتها وقرأت:-
أيا ذات الحــجابِ لكِ الســـــلامْ
وحـُــباً فاق ما حمل الغــــــمامْ
ووجــداً هَــز وجــداني ليغدو
هــــــواكِ اعـَزٌّ من حبِّ الأنــامْ
فبـــعد لقاكِ أصـبحتُ ســـعيداً
وبعد السُـــهدِ أهنأُ بالمــــــنامْ
جَـــمالك هادئُ مثلُّ النســـيمِ
يمرُّ ويستـَــطابُ بـهِ المـُقـــامْ
ملاييــن من الفتياتِ تـُـــطلى
بــمكياجٍ لتـَبـرزَ في الزحــــــامْ
وأنت يا مـَــــليكتـُهن أنتِ
بلا مكـياج في حـُسن الحَـمَــــامْ
فيا مـن قــد أسـرتِ الـروح مهلاً
ورفـــقاً فيهِ يا أحـــلى غــــرامْ

يُـقـالُ بأن قيـساً هامَ حُبـــا
وحُـــبه لا يـُوفيــه الكـــــلامْ
فصِــرتُ بألفِ قـيس هامَ عِشقـا
على رغــم العــواذلِ والســـــلامْ

أخرجت ورقةً وقلماً من حقيبتها وابتعدت قليلاً وكتبت شيئاً، ثم عادت وقالت بلهجةٍ ساخطة:- اقرأها ولكن بعدَ أن اذهب. ارتبك... شعر بخيبةِ أملٍ ثم فتح الورقة فإذا بها

أيا بـَدر الســماءِ لكَ الســـلامْ
وحُـــباً فاق ما حـــملَ الغــمـامْ
ووجـد هـَز وجـــداني ليغـدو
هـَـواكَ اعـــزٌّ مـن حُـبِّ الأنـامْ

فبعدَ لِــقاكَ أُصبحُ في نعـــيمٍ
وبـعد السُــهدِ أهـنأُ بالمنـَـــامْ
فـيا مَنْ قد أســرتَ الـروح مـَهلا
ورِفـقاً فِيهِ يا أحــلـى غـَــرام
سَـمِـعتُ بِـحُـبِ ليلى لابنِ عـَمٍ
يـُبـادلُها المـحـبـةَ والـهُـيـــامْ
فصِـرتُ بألفِ ليلى .. هِمتُ حباً
على رغمِ العـَواذِلِ والـســـَلامْ

سأنتظرك بالسيارة.....

ابتهجـت أسـاريره.. وخـرج إليهـا تحملـه أجنحـةُ الشـوقِ والسعادةِ .

_ شِعركَ جميل وكلماتكَ رائعـة... هل لـي أن احتفظَ بهذهِ الورقة؟!

_ بالتأكيد .

_ بالمناسبة .. أنا أيضاً لدي مفاجئه.

_ ما هي؟!

_ إنها بالخلف... خُذها وافتحها..

اِلتَفَتَ فإذا ورقة ملفوفة خلفه.. أخذها.. فتحها.. فإذا هي رسماً تشكيلياً لصورتهِ .

_ إنها رائعة جدا .

_ ليست أجمل من الحقيقة .

_ شكراً لكِ ... (وسادَ الصمتُ لحظات)

_ تكلم عن نفسكَ... أريد أن اعرفَ كل شئٍ عنكَ.

_ كل شئٍ.... كل شئٍ (يداعبها مبتسما).

_ نعم كل شيء .

_ حسنا... درستُ بكليةِ الهندسةِ وعُيِنتُ مُعيداً بها قبل ثلاث سنوات و حضرتُ الماجستير وأنا الآن بصددِ تحضير رسالة الدكتوراه ... والدي مدير عام بوزارة الزراعة والري أما والدتي فربة بيت .. لدي أخت وحيدة تدرس بكلية التجارة.... ماذا عنكِ؟!

_ أنا طالبةٌ أيضاً بكليةِ الهندسة... والدي سفيرُ بلدي لدى اليمن.... أما والدتي فهي كذلك ربةُ بيت وليس لي أخوة أو أخوات ... أتيت إلى اليمنِ مُنذُ ثلاث سنوات .
_ ترسُمينَ دائماً ؟!
_ أمارسهُ كهواية ... وأنتَ أتكتب الشعرَ دائماً ؟!
_ أحيانا.

۞ ۞ ۞ ۞

عندما عاد إلى المنزلِ علقَ اللوحة في غرفتهِ بعد أن كان قد بَروزها.. طرقتِ البابَ أختهُ رشا ...
_ تفضلي.
لفَتَتِ اللوحة انتباهها عندما دخلت ...
_ الله كم هي رائعة... من رسمها ؟!
_ صديقٌ لي .
اقتربت منها فإذا هي مذيلة باسم...
_ صديقكَ اسمهُ ليلى!.
_ نعم اسمه ليلى..... ليلى؟!! (مرتبكاً)
_ نعم اسمها مكتوب عليها .
اخذ المنشفة واتجه للحمام ... دخلت والدتهُ غرفتهُ ورأت اللوحة :- إنها جميله .. من رسمها ؟!
_ ليلى ؟
_ ليلى مَنْ ؟!
_ لا ادري .. اسألي سامي .

_ أين هو؟!
_ في الحمام .
_ إذاً هيا لنُجهز السُفرةَ ... والدكِ على وشك الوصول.

مرت الأيام ..... وبعد عامٍ التقيا كالعادة .
_ لديَّ مفاجئه .
_ أعرفُها .
_ ما هي ؟!
_ ألف مبروك .
_ على ماذا ؟!
_ على الدكتوراه .
_ وكيف عرفتِ ؟!
_ لقد حَضَرتُ مناقشة الرسالة .
_ ولماذا لم تأتِ لتهنئيني إذاً ؟!
_ لأنكَ لم تُخبرني بموعدها .
_ كنتُ أريد أن تكون مفاجئةً لكِ ... على رغم إني كنتُ أتمنى أن تكوني بجانبي في هذه المناسبة ... على كل حال لدي مفاجئة أخرى أُجزمُ بعدمِ معرفتكِ لها.
_ وما هي ؟!
_ تفضلي .
_ ديوان شعر!!... إنه لكَ !.
_ نعم .

_ ترُى لمن كان الإهداء ؟!
_ افتحيهِ و اقرئيه .
فتحتهُ فإذا هو مكتوب ...
(إلى من أسرتني بعينيها
وأدهشتني بجمالِها
وامتلكت قلبي .. وعقلي
فصرت مفتوناً بِسحرِها ... عاشقاً لها
إليكِ ليلى ....).
عم الصمتُ لحظاتٍ كَسرها سامي بقولهِ :- أتمنى أن يكون قد أعجبكِ ليلى؟!.
_ مؤكد أعجبني.. أشكرك يا أحبَّ عليَّ مِن نفسي... والآن يجبُ أن نحتفل بالمناسبتين، أين ستدعُوني للعشاء؟!
_ في أفخر مطعمٍ في العاصمةِ طبعاً.
_ إذاً هيا بنا للاحتفال .

❁ ❁ ❁ ❁

ومرت الأيام وبعد اقل من عامٍ التقيا كالعادةِ وبدأتِ الحديث:-
_ الفراقُ صعب .. أليس كذلك ؟!
_ بالتأكيد.
_ وأصعبهُ فراق مُحِبيَنِ .
_ لماذا تقولين هذا ؟! (صَمَتت)
_ أرجوكِ أجيبي ليلى .

_ سامي .... سنعودُ إلى لبنان .
_ ماذا ؟!.. متى ؟!
_ في الأسبوعِ القادم.
_ ونحنُ؟!.. وحُبُّنا؟!.
_ لا أدري..
_ كيف لا تَدرِين؟
_ أحسُ بأني أفارقُ الحياة .
_ ليلى لا تقولي ذلك.... سأقابلُ والدكِ.
_ متى؟!
_ اليوم .
_ ما الفائدة ؟! لم يبق وقت .
_ ليلى لا تُفقديني الأملَ أرجوكِ ، ثم كان من المفترض أن تُخبريني قبل الآن .
_ كان ذلك مفاجئاً يا سامي .
_ حسنا سنزوركم اليوم مَهدِي لذلك... أرجوكِ. (عاد لمنزلهِ وكان بادياً عليهِ الاستعجالُ وكأن أحداً يُلاحِقُهُ...).
أختهُ _ ماذا بكَ سامي؟
_ أين أمي؟!
_ لماذا؟
_ أين هي؟! أمي .. أمي
_ خرجت من المطبخ :- ماذا ؟ .. ماذا تريد يا سامي ؟!.
_ متى سيعودُ والدي؟!

_ كالعادة ... ولكن لماذا تسأل ؟!
_ لا شـئ.. (دخـل غرفتـهُ وظـل بـين ذهـابٍ وإيـابٍ فـي الغرفةِ وفجأةً خرجَ من الغُرفةِ) .. أمي.. أمي
_ ماذا ؟!.
_ لقد قررتُ الزواج .
_ ألف مبروكٍ يا حبيبي.
وبدأت تـُزغردُ بمنتهى السعادة ... (في تلك اللحظـة وصـل والدهُ)
_ خَيراً .. لمَ كلُ تِلكَ الزغاريد ؟!
_ ابنكَ قررَ الزواجْ !.
_ أخيراً ... ومن التي أسرتْ قلبكَ يا تُرى؟!
_ فتاة.
_ أعلم أنها فتاة ، لكن من تكون ؟! هل نَعرفُها؟!
_لا ... إنها لبنانيه .
_ لبنانيه ؟!
_ نعم
_ هل تـُحبك ؟!
_ نعم
_ هل تأكدتَ من ذلك ؟!
_ كل التأكيد .
_ إذاً ألف مبروك، لكن قبل المباركةِ النهائيةِ دَعنا نسألُ عن أصلها.

_ لا يوجد وقتٌ يا والدي ....
_ لماذا ؟!
_ لان عائلتها ستعود لبلدها هذا الأسبوع .
_ لماذا؟!
_ انتهى عمل والدها في اليمن !.
_ وماذا كان يعمل ؟!
_ سفير .. سفيرُ لبنان .
_ سفير !!.. إذن لا بُد أنها من عائلةٍ عَريقةٍ .
_ عريقة جداً يا أبي .
_ عريقة جداً يا أبي ... (يداعبه)
الأم :- وما اسمها ؟!
سامي :- ليلى
أخته :- الله .. اسم جميل يا قيس.
الأب :- ليلى من ؟!
_ ليلى وائل عبد الله
_ وائل عبد الله !! .. اعتقد أن هذا الاسم مَرَّ عليَّ قبلَ الآن، على كل حال متى تريد أن نذهب إليهم ؟!
_ مساء اليوم .
_ مساء اليوم ؟!.. دون أخذ موعدٍ سابق ؟
_ ليلى ستخبرهم وتُمهِدُ للأمر.
_ حسناً ... حسناً.

وبعد الغداء اتجهوا إلى منزل السفير.. أدخلتهم الشغالة إلى الصالون... وجاء سعادة السفير للترحيبِ بهم وكانت المفاجئة عندما وقف عند الباب مندهشاً، عندها وقف والد سامي متسمراً في مكانهِ هو الآخر وهو يقول وائل عبد الله صديق الشباب وتعانق الاثنان عناقاً حاراً، وعَرَّفَ كلاً منهما الآخر بعائلتهِ.

واستطردَ السفير:- مرحباً بصديق الشباب.. من كان يُصدقُ أننا نلتقي بعد هذا العمر من جديد؟!!.
والدُ سامي:- لابد أن يُكمل الزمن حلقته، وكما يقول المثل المصري (مسير الحي يتلاقى) يا صديقي، أم أنك لم تعد مولعاً بالأمثال؟!
السفير:- كنتُ.. وما زلتُ.. وسأبقى مولعاً بها.. تفضلوا بالجلوس، مرحباً بكم وبدأ الحديث عن الذكرياتِ والدراسة.
السفير:- أتذكر أيام الدراسةِ في جامعه بيروت عزيزي أحمد..... والأصدقاء أحمد وجابر ووليد؟!
والدُ سامي:- وكيف لي أن أنسى أجمل أيام عمري!!، ألا زلتَ تتواصلُ معهم حتى الآن؟!

السفير:- وليد فقط ما زلتُ أتواصلُ معهُ، فقد باشرَ عملهُ في المصنعِ بعد وفاة والدهُ، أما جابر وأحمد فلم أرهما بعد إتمام الدراسة الجامعية... استطرد:- لكنِّي سَمعتُ أنهما أسسا شركة استيرادٍ وتصديرٍ في مصر.

والد سامي:- أتمنى لهما التوفيق، والآن ندخلُ بالموضوع الذي كان السبب في هذا اللقاء السعيد والذي لم يكن متوقعاً..... ألا وهو طلب يد الآنسة ليلى للدكتور سامي.

السفير:- حدثتني ليلى عن ذلك، لكنكَ تَعرفُ ولعي وإيماني بالأمثال العربية وقد عَملتُ بالمثلِ المصري القائل (اخطب لابنتك ولا تخطب لابنك) منذ دقائق.

السكون يخيم على الجلسة، حالةٌ من الصمت الرهيب تكتنفُ الحضور... أما سامي فقد تغيرت ملامحهُ واحتقن الدمُ بوجههِ... كأنَ الأرض زُلزلت تحت قدميه... كذلك هو حالُ ليلى حتى كَسَرَ الصمت تساؤل سامي:- ماذا تقصد سيدي؟!

السفير:- أقصد أني قد خطبتها فعلاً لشابٍ خلوقٍ... والدهُ من أعز أصدقائي اسمه سامي.. سامي أحمد عبد القادر.

والد سامي يُوجه الكلام لابنه:-

كاد قلبكَ يتوقف عن النبض أليس كذلك؟!

وتعالت الضحكات وعادت الفرحة تغمرُ الجميع أما سامي فقد زفر زفرةً طويلةً وكأنَ حملاً ثقيلاً أزيح عنه.

الوالد:- إذاً دعونا نقرأ الفاتحة، ونحدد موعداً للزفاف.
السفير:- لا بد أن ليلى أخبرت سامي بموعد سفرنا الأسبوع القادم لذا أرى أن يكون الزفاف الخميس القادم... ما رأيكم؟!
والد سامي:- على بركة الله.
_ على بركةِ الله وقرأوا الفاتحة ...

قدْ تكونُ الصدفةُ موعداً

عندما كان هيثم عبد الرحمن يتنزهُ في أحدِ الأيام بحديقةٍ من حدائق العاصمة كعادته وبعد ولوجه من البوابة الحديدية عَبْرَ طريقٍ طويلٍ تجانبهُ الأشجار.... رُصِفَت تلك الطريق بأحجارٍ صغيرة.... مَرَّ بفتاةٍ تقرأ أو تكتب شيئاً تحت إحدى الأشجار في حين أن ثلاثة شُبانٍ يجلسون على رصيفٍ مقابل بين الأشجار والطريق... تخطاهم فإذا أحدهم يقولُ لها:- هل سننتظر طويلاً؟! فيرد عليهِ الآخر: وماذا وراءنا سننتظر ولن نذهب إلا بها!...

كان يبدو عليها الخوفُ كأنما تستغيث.... كانت نظراتها تُظهِر مبلغ الرعب الذي ينتابُها.... عَادَ إليهم وقد امتلأ غيضاً وحنقاً... خاطبهم قائلاً:- إن رأيتُ أحداً منكم بعد الثلاثة فلن يخرج على قدميه، ورمى بكتابهِ جانبا.

واحد..... اثنين..... ثلاثة، رَدَّ عليه أحدهم باستخفافٍ:- إلى المائة... إلى المائة... ولم يكد يُكملُ حتى تلقى لكمةً أسقطتهُ أرضاً.

على الفور قام الآخران وأمسك كلاً منهم بذراع، في حين نهض الأول من سقطتهِ وهو يقولُ سأريكَ أيها اللعين واندفع إليه بقوةٍ فرفع هيثم رجليه مستنداً بالمُمسِكَينِ ذراعيهِ وركلهُ ليُسقِطهُ للمرةِ الثانية، وركلَ المُمْسك بذراعه الأيمن في حين تلقى الآخر لكمةً سال على إثرها الدم من أنفه، نظرَ إليها فإذا

هي ما تزال واقفةً بمكانها فصاح بها اذهبي الآن... اذهبي.... أثناء ذلك ركلهُ أحدهم من الخلف حتى أسقطهُ أرضاً وقفزَ عليهِ مُنهالاً باللكمات، تمكن من التخلص منهم بصعوبةٍ ونهض، كانت ما تزال تُراقب الوضع بتوجسٍ وخيفة... لَكمَ أحدهم وأعقبها بركلةٍ على وجههِ واتجه إلى الأخر وهو يحاولُ أن ينهض فأمسك به من مقدمةِ قميصه و أنهضه ثم باشره بلكمةٍ أفقدتهُ وعيه و اتجه إلى الثالث والدم مازال يسيلُ فصفعهُ صفعاتٍ متتالية وهو يقول لا أريدُ أن أراكم مرةً أخرى أثناء ذلك أفاق المُغمى عليهِ وصديقاهُ يحاولان الفرار فنهض متمايلاً ولحق بهما.

۞ ۞ ۞ ۞

وفي اليوم التالي عند باب الحديقة سمع إحداهن تنادي يا أخ.. يا أخ التفت إلى مصدر الصوت فإذا هو صادرٌ من سيارةٍ تقفُ بجانبِ البوابة... كانت فتاة الأمس.... أتت نحوه:- أشكرك على إنقاذكَ لي... لا أعرف من دونك ما الذي كان سيحدث ؟!!

- لا شكر على واجب لكن لماذا لم تدخلي .
- أخاف أن أجدهم بالداخل .
- لا أظنهم سيأتون مرةً أخرى .. تفضلي ..

وما هي إلا لحظات حتى رأوا جماعةً يبدوا عليها التشرد تدخل الحديقة وتتجهُ إليهم و بينهم الثلاثة الذين أُوسِعُوا ضرباً البارحة.... يحملون العصي فصاحت:-

- هيا نهرب.
- لا عليكِ سأعالج الأمر وتقدم إليهم... قال مخاطباً الثلاثة ألم أقل لكم إني لا أريدُ رؤيتكم مرةً أخرى؟!.

فتراجع الثلاثة إلى الوراء وهم يشيرون إليه حيثُ تقدم من خلفهم رجل أسمر ثخين الشارب تظهر على خدهِ الأيمن ضربة سكين وهو ينظرُ إليهم باحتقار قائلاً :-

- أهذا من فعل بكم كل هذا؟!.. لو كنتُ أعلم ما أحضرتُ الشلةَ كاملةً... دعوةُ لي فتراجع الجميعُ إلى الوراء.

واستطردَ قائلاً :- سأدفنكَ مكانك... وهيثم ينظر إليه مبتسماً ابتسامةً جمعت بين ثقتهِ بنفسهِ و احتقاره للواقفِ أمامه فرفع ذلك الأسمر يدهُ بُغيةَ صفعهِ فتراجع هيثم في سرعةٍ وخفه وقفز إليه وركلهُ ركلةً أسقطتهُ أرضاً... هجم أصحابه فصاحَ بهم و هو لا يزال على الأرض:- تراجعوا.. ونظر إلى هيثم مُوجهاً إليهِ الحديث قائلاً:-

- لم أشأ الإضرارَ بكَ لكني سأدفنكَ فعلاً.... و هجم مرةً أخرى فتلقاهُ هيثم بلكمةٍ إلى أن سقط للمرةِ الثانية ورفعهُ مستخدماً قميصه وضربهُ على وجههِ بركبتهِ ثم وجهَ إليهِ لكمةً إلى أن سقط ولم يستطع الحراك..... عندها خرج من وراء أشجارٍ لا تبعُدُ كثيراً مجموعةً من الجنود، القوا القبض على تلكَ العصابةِ و إذا بضابطٍ يحملُ رتبةَ رائدٍ يُصافحُ هيثم قائلاً له:-

- أشكرك لَقد ساعدتنا في القبض على أخطر عصابةٍ لسرقةِ المنازل .
- هي من تستحقُّ الشكر ..مُشيراً إلى الفتاة .

شَكَرَها الضابط وغادر هو وجنوده مقتاداً العصابة للخارج ... ثُمَّ خرجَ هيثم بصحبةِ الفتاةً ... و أثناء خروجهما قالت له:-

- هل تزور الحديقةَ دائماً ؟!
- نادراً ما آتي إلى هُنا وأحياناً مرةً كل أسبوع وغالباً ما يكون يوم الخميس .
- إذاً لمَ أتيتَ اليوم ؟!
- شعرتُ بأنك ستأتين وكنتُ مُتأكداً من أن العصابة ستكون هُنا أيضاً .
- أشكركْ .
- على ؟!
- على إنقاذك لي البارحة واليومَ أيضاً.... أرجوا أن تقبل دعوتي لكَ على الغداء
- اعذريني .. لا أستطيع ..
- لمَ ؟!
- لأني غير جاهزٍ لذلك الآن.... إلى اللقاء .

۞ ۞ ۞ ۞

وفـي يـوم الخمـيس ذهبـت للحديقـة بصـحبةِ صـديقتها التـي كانت قد حكت لها كل ما حدث.
صديقتها ـ ما اسمه ؟
ـ رغم أنى قد التقيتُ بهِ مرتين إلا أنى لم اسألهُ عن اسمهِ.. ولا هو سألني عن اسمي.
ـ ماذا يبدوا عليه ؟
ـ ماذا تقصدين ؟
ـ اقصد أهو غني ؟!
ـ لا اعرف لكنهُ مُهندمٌ ومحترم.... يبدو أنهُ من عائلةٍ عريقةٍ جداً.
عندما وصلتا إلى الحديقةِ أوقفت السيارة بجانب بابها ودخلتا فوجدتاهُ بنفس المكان فبادرتهُ:ـ أليس غريباً؟!
- ما الغريب؟!
- التقينا اكثر من مرة وحتى اللحظة لا يعرفُ أحدنا اسم الآخر!!
- اسمي هيثم عبد الرحمن .
- وأنا اسمي سحر سالم....وهذه صديقتي سلوى... ثم دعتهُ إلى الغداء فوافق واتجهوا بسيارتها إلى مطعمٍ من الدرجةِ الأولى... وبعد أن انتهوا من الغداء فتحت سحر حقيبتها.
- ماذا تفعلين؟!
ـ سأدفعُ الحساب .

- سأدفعهُ أنا .
- لكني أنا صاحبةُ الدعوة ؟!
- ليس مهماً... دفعَ الحساب وعند باب المطعم استأذنهما أن يذهب
- إذاً نراكَ غداً الساعة التاسعة في نفس الحديقة .
- إن شاء الله.... إلى اللقاء.
- إلى اللقاء.
سلوى - يبدوا فقيرا !!
- ما أدراكِ؟!
- لأنهُ لا يمتلكُ سيارةً.
- حتى لو كان فقيراً.. الفقرُ ليس عيباً... في نفسِ اليوم رأتهُ وكانت سلوى لا تزالُ برفقتها وهو يقودُ سيارة مرسيدس فاخره وبجانبهِ أحد الوزراء إنهُ الوزير الذي يعمل والدها وكيلاًً له . فقالت لها سلوى:-
- ألم اقل لكِ... هو ذا سائقٌ للوزير .
- هذا لا يعيبهُ .
وفي اليوم التالي التقيا في الحديقة حسب الموعد و كانت سلوى معها ودعتهُ للغداءِ في نفسِ المكان واشترطت أن تدفع هي الحساب .
فقال:- أنتِ تعرفين مبدئي.
- إذاً المرة القادمة ادفع أنا..
- إن شاء الله .

وعندما وصلوا إلى المطعم وبينما هم ينتظرون الطعام قالت سلوى:- لم نعرف هل تعمل أم أنك لا تزال طالباً !.

- أنا طالبٌ و أنتما ؟!

- نحنُ طالبتانِ... سحر والدها وكيل وزارةٍ وأنا والدي مدير عام في نفس الوزارة وأنت ماذا يعملُ والدك؟!

- موظف .

سلوى بنظرات تعالي:- ألم اقلْ لكِ .

سحر:- سلوى أرجوكِ .

هيثم ينظر إليهما مبتسماً... ويكملُ الجميعُ غدائهم وعند خروجِهم قالت سحر:- نلتقي غداً في نفسِ المكان لأعرفكَ على والدي.

- حسناً.

أما سلوى فكانت قد سبقتها إلى السيارة

۞ ۞ ۞ ۞

وفي اليوم التالي ذهبت إلى الحديقةِ برفقةِ سلوى التي لم تنزل من السيارة.... فوجدتهُ في نفس المكانِ المُعتاد وفي يدهِ أوراق ملفوفةٍ فسألته:- ما هذه؟! .

- مخططات وخرائط ..... لم تهتم بذلكَ واستطردت:-
- إذاً هيا بنا.... واتجهوا إلى الوزارة لتعرفه ُعلى والدها وعندماً وصلت إلى مكتب والدها طرقت الباب بهدوء.

- تفضل.

فتحت الباب ودخلت ومعها صديقتها سلمتا عليه وقالت أريد أن أعرفكَ على هيثم فقالت سلوى بحنقٍ:- ابن الموظف.
- سحر:- سلوى أرجوكِ .
والد سحر مبتسماً:- أهلاً وسهلاً به أين هو؟
في تلكَ الأثناء دخلَ هيثم إلى المكتب فقام وكيل الوزارة لتحيته وهو يقول:- أهلاً...أهلاً بكَ يا بُني أين كنت كُل تلك المدة؟!
- كنتُ مشغولٌ في تحضيرِ الخرائط ومخططات مشروع المدينة السكنية.. تفضل..
يفتحها وكيل الوزارة وينظر فيها:- عظيمٌ جداً.
- هل اطلعَ والدكَ عليها ؟!
- ليس بعد سأطلعهُ عليها الآن ... عن إذنكم .
- تفضل .
وكيل الوزارة :- أين صديقك ؟! مخاطباً ابنتهُ .
- أنهُ هيثم .
- هيثم عبد الرحمن؟! أبن معالي الوزير!.
سلوى باستغراب:- ابن الوزير؟!!.
- نعم وهو من انشط المهندسين في الوزارة.
- ومهندسٌ أيضاً.
سلوى تحاول الانسحاب من الغرفة خجلةً..... و تستأذن سحر من أبيها للمغادرة وتنتظر بسيارتها إلى أن يأتي هيثم فتناديه.
هيثم :- أين سلوى؟!

- ذهبت بعد أن عرفت انك أبن الوزير .
- وماذا كانت تعتقد؟!
- كانت تعتقد انك سائق الوزير .
ثم يضحكا ويذهبا .

الملاذُ الأخير

كان يجلسُ أمام البحرِ مهموماً... كأنَ همومَ الأرض صُبت عليه... لم يكن من أحدٍ غيرهُ والنجومُ التي بدت وكأنها تدمعُ إشفاقاً عليه، والبحرُ الذي يناجي ربهُ... كأنما يدعوهُ أن يُفرجَ همَّ صديقه الذي يزوره ُمنذ زمن، زياراتٍ طويلةٍ تصلُ إلى عِدةِ ساعاتٍ يُخيمُ عليها السكون والحُزن.

ذاتَ يومٍ... وبينما هو جالسٌ على الشاطئِ كعادتهِ، وقف فجأةً وعيناهُ مُغرَورِقَتانِ بالدمع... مُتجهتانِ للأفقِ الذي رسمَ عليهِ الشفقُ لوحةً للغروبِ الهادئ الذي ينمُ عن جلالٍ... ووقارٍ.... وحزنْ.

دمعتانِ تتشبثُ بالأهدابِ تُناظرانِ البحرَ بألمٍ وحزنْ... سقطتا على خديهِ القمحيين لتكونا نهراً من قطراتٍ متتابعة مُتدافعة.... انفجر بالبكاءْ... كان بكاءً مريراً يُوحي بحزنٍ عميقٍ وكآبةٍ لا حدودَ لها، واندفع نحو البحر لائذاً بالانتحار. تسربَ إلى أذنيهِ صوتٌ بعيدٌ مدوٍ آتٍ من أعلى كأنَ مَصدرهُ السَماء!!.. توقف.. توقف يا عزيزي، أعرفُ أنك تشعرُ بالذنبِ والندم... كَما أنني على يقينٍ أننا لن نلتقي إلا في عالمنا هذا.. وأعرفُ كذلك كما تعرفُ أنت أن عالمنا لا يَرقى إليهِ الخاطِئون... إلا إذا تطهروا من أوزارِهم... وإذا ما جئتني الآن حاملاً أوزاركَ فلن نلتقي في عالمنا هذا كما لم نلتقِ في عالمِكُم ذاك... تطهر أيُّها الحبيب حتى

يكتب لنا اللقاء في العالم الأبدي، وترقى لمستوى الأبرار الطاهرين فمكاننا هذا ليس إلا للأبرياء...

وتهادى صدى كلماتـُها الأخيرة ((تطـهر يا عزيزي... تطـهر يا عزيزي... تطـهر يا عزيزي)) مُجلجلاً في أذنيهِ مُتناقصاً مُتراخياً في السماء.

انقلبتْ أحوالهُ، وتبدلتْ طِباعهُ!!. صار رقيقاً بعد أن كان خشناً جلفا... كريماً بعد أن كان لئيماً، واستبدلَ بندقيتهُ التي لازمته ُربيع شبابهِ بريشةٍ إستلها من غمدِ المرارةِ والندمِ ليـُشهرها في وجهِ الظلمِ والطغيانِ المتمثلِ بِدعاةِ الحرب التي كان ذاتَ يومٍ منهم، بل كان أشدهم دعوةً لها، و حَظّاً عليها... وشاركَ في حروبٍ حصدت عائلتهُ فرداً فرداً، كما شاركَ في الحربِ التي لم تضع أوزارها بعدْ... ولم تقف رحاها الطاحنةُ لأرواحِ الأبرياء حتى الآن .

لكن الأمر قد وقع... حتى عَزاؤهُ الوحيد في فقد والديهِ و أُختـَيهِ وأخيه الأصغر الذي فقدهُ دون رؤيتهِ ولو لمرةٍ واحدةٍ قد رحلَ هو الآخر...

عاد... لكنهُ لم يجدها كما كان يأملُ... ترتدي الطرحةَ البيضاءْ و فستان الزفاف بانتظار عودتهُ لإكمالِ مراسمه، إنما وجدها ضحيةً من ضحايا الحرب، ملطخةً بدمائِها الذكيةُ التي أراقـَها استهتارهُ وأمثالهُ بأرواحِ الأبرياءْ... لكنهُ قد عاد...

السيرة الذاتية

* / الاسم / عبد الخالق عبده سليم الجوفي .

* / من مواليد ١٧/٨/١٩٧٩م الجمهورية اليمنية صنعاء .

* / شاعر وروائي ومسرحي وصحفي .

* / لهُ مجموعة شعرية بعنوان همسات الوجدان .

* / لهُ مسرحية بعنوان روحُ الشهيد .

* / لهُ مسرحية بعنوان غزة تستصرخ .

* / لهُ العديد من المقالات المنشورة في الصحف المحلية والعربية وعلى شبكة الانترنت .

* / حاصل على جائزة رئيس الجمهورية عن صنعاء في القصة العام ٢٠٠٨م .

* / حاصل على جائزة رئيس الجمهورية عن صنعاء في النص المسرحي العام ٢٠٠٨م .

* / حاصل على جائزة جامعة صنعاء في النص المسرحي العام ٢٠٠٧م .

* / حاصل على جائزة اتحاد طلاب اليمن في النص المسرحي العام ٢٠٠٧م .

* / حاصل على جائزة اتحاد طلاب اليمن في القصة العام ٢٠٠٧م .

* / حاصل على جائزة اتحاد طلاب اليمن في فن المقال العام ٢٠٠٧م .

* / مُشرف بمنتدى القصة اليمنية (المقه) على قسم القصة القصيرة .

* / لهُ العديد من المواقع الشخصية والمتفرعة من مواقع عربية :-

١- موقع متفرع من موقع القصة العربية على الامتداد :-

http://www.arabicstory.net/index.php?p=author&aid=1020

٢- موقع متفرع من موقع القصة السورية على الامتداد :-

http://www.syrianstory.com/aljouffy.htm

٣- موقع متفرع من موقع أبيات للشعر النبطي على الامتداد :-

http://abyat.com/poet.php?id=1730

٤- موقع متفرع من موقع موسوعة الشعر والأدب والتراث العربي على الامتداد :-

http://www.benzaben.a3a3.com/poems-770-0.html

٥- موقع متفرع من موقع ديوان قصايد للشعر العربي على الامتداد :-

http://www.qasayed.net/dewan/poet.php?Sid=104

٦- موقع متفرع من موقع الشعر على الامتداد :-

http://www.alsh3r.com/poeter.812.html

* /العنوان الجمهورية اليمنية صنعاء شارع شيراتون .

❖ **البريد الإلكتروني** :-

*/Emil:- abdulkhaleq.algwfi@gmail.com